جامعة المنصورة
كلية السياحة و الفنادق

قاعَة الدَّهِيشَة وأحداثُ عصرِ سلاطينِ المماليكِ (٧٣٠-٩٢٣هـ/١٣٣٠-١٥١٧م) دِراسة تَارِيخية

إعداد

د.محمد جمال حماد
مدرس بقسم الإرشاد السياحي -
المعهد العالي للسياحة والفنادق وترميم الآثار -
أبو قير -الأسكندرية

ملخص البحث

تقفُ العمارة الإسلاميّة، علَى مدار تاريخها، شاهدةً علَى أحداث الماضي، وأثرًا متبقيًا من آثار الحياة التاريخية للأمم التي نشأت في كنف فضائها الحضاريّ، وتظل ممثلة للذاكرة الحيّة التي تنطق بما عصف بالشعوب من متغيرات، وما مرّ بها من فترات أمن واستقرار. وقد قامت كثير من الدراسات الأثرية التي تتناول بالدراس البحثيّ أُسسَ وأساليب وتطور تلك العمارة، دون استنطاقها بما حوت من أحداث، رغم كونها سجلًا للعديد من الأحداث السياسية والحضارية التي مرت عليها، أو حدثت في ذات المنشأ المعماري، أو تركت أثرها عليها. ومن تلك الزاوية نرى قلعة الجبل أحد أهم الكيانات المعمارية، التي تنطق بأحداث التاريخ ويمكن أن تقف شاهدًا على الربط بين المعطى الأثري والدرس التاريخي. فقد صوّر كل ركن من أركانها تاريخًا حافلًا بوقائع مختلفة، لكننا سوف نركز على ركن من هذه الأركان، وهو قاعة "الدهيشة"، التي تلاشت عمارتها زمنيًا لكنها بقيت شاهدة على أن الأثر المعماري، الذي يشهد على وقائع مررها التاريخ في دهاليزه، لا تتوقف عن التغيّر والتبدّل.

تتكون دراستنا من عدد من المسائل: تبدأ بالتعريف اللغوي والاصطلاحي للدهيشة، ثم التطور التاريخي اللفظي لها مع وصفها، وشهادتها على كثير من أحداث الشأن السياسي التي مرت بداخلها، كولاية العرش، وبعض الجرائم والعقوبات، والمصالحات والتحالفات، كذلك جسدت حصنًا وحماية لمن يأوي إليها، وقد شهدت أيضًا على انعقاد مجالس الشورى للقضاء على الاضطرابات، كما ساهم بوابوها (حراسُها) في حمايتها فكانوا جزءًا من مجريات أحداثِ الشأن السياسي. شهدت الدهيشة أيضًا على الشأن الحضاري، فعُقدت فيها مجالس متنوعة بين الدين، والعلم، واللهو والاستجمام، والاحتفال بالأعياد الدينية والمناسبات المختلفة، وشهدت أيضًا على توزيع النفقات والعطايا المالية على المماليك، وأخيرًا كانت مقرًا لاستقبال ضيوف السلطنة.

Ka٣a Al Dheisheh and the events of the era of the Mamluk sultans (٧٣٠-٩٢٣ AH / ١٣٣٠-١٥١٧AD)

Throughout the history, Islamic architecture witness to the events of the past, and a remnant

of the traces of the historical life of the nations that arose in the confines of their civilizational space and remains a representative of the living memory that speaks of the changes that afflicted the peoples, and the periods of security and stability they passed through. Many archaeological studies that deal with research studies have carried out the foundations, methods, and development of that architecture, without analyzing it with the events that contained it, despite it being a record of many political and civilized events that it passed through, occurred in the same architectural origin, or left its impact on it.

Based on these, we see Salah Al-Din Al-Ayyubi's castle; one of the most important architectural entities, which pronounces the events of history as a witness to the link between archaeology and historical lesson. Each of its corners depicted a history full of different facts, but we will focus on one of these corners, which is the "Dheisheh", whose architecture faded over time, but it remained a witness that architectural monument, testifies its historical events.

So, these study mentions several issues: begins with the linguistic and terminological definition of Dheisheh, then the verbal historical development of it with its description, and its testimony to many events of the political affair that passed within it, as the mandate of the throne, and some crimes, punishments, reconciliations, and alliances, as well as embodied a fortress and protection for those who shelter in it.

It also witnessed the convening of the shura councils to eliminate disturbances, and its gatekeepers participated in protecting it and were part of the course of events in political affairs. Dheisheh also witnessed the civil affairs, where various councils were held between religion, science, entertainment and recreation, and the celebration of religious holidays and various occasions. It also witnessed the distribution of expenses and financial gifts to the Mamluks, and finally it was the seat of receiving the Sultanate's guests.

منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي وأدواته من التحليل، والاستقراء، والاستنباط والمقارنة.

هدف الدراسة

تهدف الدراسة إلى رصد وتحليل وقائع الأحداث السياسية والحضارية داخل قاعة الدهيشة، التي اندثرت معماريًا حاليًا، واستمرت أحداثها تحاكي الواقع التاريخي، وتؤصل كيانها المعماري.

الدَّهِيشَة في اللغة والمصطلح

الدَّهِيشَة: تصغير الدَّهَشُ، وهو ذهاب العقل من الذَّهَلِ والوَلَهِ و الْفَزَعِ[١]، والدَّهَشُ من الْخَرَقُ وَهُوَ التَّحَيُّرُ، ودهِشَ الرجل،

(١) ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على)، (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار المعارف، ١٩٩٤م، ج٦، ص٣٠٣.

بالكسر: تَحَيَّرَ.[٢]ودهِش دهَشاً فَهُوَ دهِش، فيقال: أدهَشه الأمر أو الخبر.[٣]

أما **اصطلاحيًا**، فالشائِع في المصطلح الأثري المعماري أن الدَّهيشَة البناء المدهش لناظره، لما امتاز به من بديع النقش وروعة الزخرفة. [٤]

التطور التاريخي اللفظي للدهيشة

يُعد الاشتقاق اللغوي، من أهم وسائل إنماء اللغة العربية وإثرائها، وذلك عبر زيادات لفظية (لواحق أو سوابق) في بنية الكلمة؛ فيسهم في ولادة لفظ جديد ربما يحمل معنى جديدًا،

(٢) ابن فارس(أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني)، (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٢، ص١٧٣.

(٣) ابن سيده(أبو الحسن علي بن إسماعيل)، (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، المخصص، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٣، ص٣٥٧.

(٤) محمد محمد أمين، وليلى على إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النشر بالجامعة الأمريكية، ط١، ١٩٩٠م، ص٤٩؛ عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٠م، ص١١٠.

ومن هذا المنطلق النابع من التطور اللفظي تم تسليط الضوء على الدهيشة موضع الدراسة، لنتعرّف على الاستخدام التاريخي لها، فاللفظ الأم "الدهشة" إلى جانب دلالته اللغوية المشار إليها سابقًا، فقد ارتبط تاريخيًا ببعض المنشآت المعمارية والمتنزهات التي أُنشئت بصفة خاصة في بلاد الشام، مثل: متنزه الدهشة في النيرب من حلب التي دفن فيها المنصور صاحب حمص[٥] سنة(٦٤٤هـ/١٢٤٧م)[٦]، وقيسارية الدهشة بالقرب من الوراقين واللبادين بدمشق، التي تم الانتهاء من عمارتها في(رمضان٧١٥هـ/

(٥) المنصور ناصر الدين إبراهيم بن شيركوه "الثاني" بن محمد بن أسد الدين شيركوه "الأول" ، ثالث ملوك الأيوبيين في حمص بعد وفاة أبية سنة (٦٣٧هـ /١٢٤٦م)، وتوفي في دمشق سنة(٦٤٤هـ/١٢٤٦م)، ودفن في حمص. ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م، ج٢، ص٤٨١؛ الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠٠٠م، ج٦، ص١٧.

(٦) الصفدي، المصدر السابق، ج٦، ص١٧.

ديسمبر١٣١٥م)، [٧] وقيسارية الدهشة بسوق علي بدمشق التي أنشئت سنة(٧٢٦هـ/١٣٢٦م)،[٨] وجامع الدهشة الذي أنشأه الملك المؤيد إسماعيل أبو الفداء[٩] بحماه سنة (٧٢٧هـ/

(٧) ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر)، (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، البداية والنهاية، دار الفكر، ١٩٨٦م، ج١٤، ص٧٤.

(٨)الذهبي(شمس الدين محمد بن عثمان)، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٩٨٥م، ج٤، ص٧٥؛ ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله)، (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي ط١، ٢٠٠٢م، ج٢٧؛ ص٥٣٥؛ ابن الحمصي(أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري)، (ت٩٣٤هـ/١٥٢٧م)، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تح: عبد العزيز فياض حرفوش، دار النفائس، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص٢٥٤، ج٣، ص٤٩٠.

(٩) أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن شاهنشاه، نبغ في كثير من العلوم منها التاريخ، والجغرافيا، الأدب، والتفسير، والفلسفة والطب، ولاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون نائبًا له في حماه سنة (٧١٠هـ/ ١٣١١م) ثم ملكًا عليها(٧١٢هـ/١٣١٣م)، ثم سلطاناً عليها سنة(٧٢٠هـ/١٣٢٠م)، وتوفي سنة(٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م). السبكي(تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين)، (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٣م، ج٩، ص٤٠٣-٤٠٤؛ ابن العماد الحنبلي(عبد الحي بن أحمد

١٣٢٦م)،[١٠] وسوق الدهشة شرقي الجامع الأموي بدمشق.[١١]

رغم شيوع استخدام لفظ "الدهشة" في هذه المنشآت السابق ذكرها، لكننا نري اشتقاقًا لفظيًا جديدًا بدأ في الظهور منذ عصر الملك المؤيد إسماعيل، الذي بني قصره "الدهيشة" في

بن محمد)، (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م، ج١، ص٥٩-٦٠؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٧م، ج٢، ص٢٨٢؛

Endrrss, Gerhard, "Europe and Islam: the history of Islamic studies in the West", in Islam: An historical introduction, Edinburgh University Press and Carole Hillenbrand, ١٩٨٨, p. ١١.

(١٠) ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أحمد بن على بن محمد)، (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢م، ج١، ص٣٧٢.

(١١) أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن على)، (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ١٩٠٧م، ج٤، ص١٣٢؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١١٧.

حماه[١٢]، ليصبح – ربما – الدهيشة الأولى في تاريخ العمارة الإسلامية لروعة وتصميم بنائه وجمال زُخرفه، ثم انتشر هذا الاستخدام اللفظي في مصر المملوكية على كثير من العمائر منها: دار الدهيشة التي أطلق عليها سابقًا الدار الفاضلية. وتقع بالقرب من مطبخ الأمير عز الدين الأفرم[١٣]بالصاغة، وقد

(١٢) المقريزي(تقي الدين أحمد بن على)، (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٣، ص٣٦٩؛ علي نجم عيسى، حماه في ظل الأيوبيين(٥٧٠-٧٤٢هـ/١١٧٤-١٣٤١م) دراسة سياسية حضارية، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م، ص١٣٤-١٣٥.

(١٣) الأمير عز الدين آيبك بن عبد الله الصالحي المعروف بالأفرم الكبير، وبالساقي أمير جندار، من كبار الأمراء بالديار المصرية، وأثريائها، عاصر كلًا من السلاطين عز الدين أيبك، والظاهر بيبرس، وقلاوون الألفي، و الأشرف خليل، والناصر محمد بن قلاوون، توفي سنة(٦٩٥هـ /١٢٩٦م). ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج٣، ص١٣٠-١٣٢؛ الدليل الشافي على المنهل الصافي، تح: فهيم محمد شلتوت، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ص١٦١؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،

اشتهرت بصناعة التمور.[١٤] وفي عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، أطلق على ربعه بخط باب زويلة "ربع الدهيشة".[١٥]ومن خلال إشارة ابن حجر العسقلاني لأحداث سنة(٨٠٢هـ/١٤٠٠م) أورد أن "الدهيشة" –دون التصريح بكونها المعماري– كادت أن تتعرض للنهب بيد المماليك السلطانية، كما أشار أن اتمام عمارتها في عصر الأمير أيتُمش[١٦]لتكون وقفًا لمارستان المنصوري.[١٧]

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،١٩٦٣م ، ج٨، ص٨٠؛ الصفدي، الوافي، ج٩، ص٢٦٨.

(١٤) ابن دقماق(إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي)، (ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للتوزيع والنشر، بيروت، د.ت ، ج١، ص٤٤.

(١٥) المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٣٠؛ محمد محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص٤٩–٥٠؛ حامد محمد حامد، خريدة القاهرة: شيءٌ من سيرة الأماكن والأشخاص، الرواق للنشر والتوزيع، ٢٠٢١م، ص١٩١.

(١٦) الأمير سيف الدين أَيْتَمُش بن عبد الله الأسندمري البجاسي الجرجاوي، من مماليك أسندمر البجاسي الجرجاوي، ترقى في المناصب بعد وفاة سيده، حتى صار أمير مائة ومقدم ألف ورأس نوبة النُّوب، وأتابك العساكر في عصر الظاهر برقوق، وقتل في عصر السلطان فرج سنة(٨٠٢هـ/١٤٠٠م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣ ، ص١٤٣–

وفي عصر السلطان فرج بن برقوق أنشأ زاويته التي عرفت بـــ"زاوية الدهيشة" سنة (٨١١هـــ/١٤٠٩م)،[١٨]التي تم إعادة بناءها سنة(١٣٤٢هـــ/١٩٢٢م) بعد التنسيق بين مصلحة التنظيم وإدارة لجنة حفظ الآثار العربية على نزع ملكية جزء من الأرض القائم عليها ربع الدهيشة – الواقع ضمن أوقاف رضوان بك الفقاري تجاه جامع الصالح طلائع بن رزيك[١٩]

١٥١؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٦٤؛ السخاوي(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)،(ت٩٠٢هـــ/١٤٩٧م) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م ، ج٢، ص٣٢٤؛ عاطف سعد محمد، دراسة آثارية لربعة شريفة لأيتمش البجاسي، مجلة كلية الآثار،ع٤ ، كلية الآثار بقنا، جامعة جنوب الوادي ، ٢٠٠٩م، ص٢٨٤-٢٨٥؛

Jidejian, Nina, Tripoli Through the Ages, Dar el-Mashreq Publishers, ١٩٨٠, p.٩٤.

(١٧) ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد)، (ت٨٥٢هـــ/١٤٤٨م)، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٩م، ج٢، ص٩٦.

(١٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢١٠؛ عبد الرحمن زكي، موسوعة القاهرة، ص١١٥؛ حامد محمد حامد، خريدة القاهرة، ص١٩١.

(١٩) الملك الصالح طلائع بن رزيك، ولد ونشأ بأرمينية سنة(٤٩٥هـــ/١١٠٢م)، شعف بحبه للعلم والأدب، رحل إلى العراق، ومنها

في أول شارع قصبة رضوان على اليمين من جهة باب زويلة.– [٢٠]ونقل الزاوية إليه في مكانها الحالي بأحجارها وشكلها القديم.[٢١] وقد شهدت هذه الزاوية على تغسيل وتكفين السلطان طومان باي بعد مقتله على يد السلطان العثماني سليم

إلى مصر، حيث وُلي منية بني خصيب من أعمال صعيدها، ثم ولي الوزارة للخليفة الفائز(٥٤٩– ٥٥٥هـ/١١٥٤–١١٦٠م)، ثم قتل سنة(٥٥٦هـ/ ١١٦١م). الصفدي، الوافي، ج١٦، ص٥٥؛ المقريزي، الخطط، ج٤، ص٨٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣١٠، ٣١٤؛ ابن رزيك (الملك الصالح طلائع)، (ت٥٥٦هـ/١١٦١م)، ديوانه، تح: محمد هادي الأميني، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٤م ، ص٥–٥٠؛

Bora, Fozia, Writing History in the Medieval Islamic World: The Value of Chronicles as Archives (Early and Medieval Islamic World) ,London , ٢٠١٩, P. ١٥٧.

(٢٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢١٠؛ عبد الرحمن زكي، مدينة القاهرة، ص١١٥.

(٢١) النويري(أحمد بن عبد الوهاب بن محمد)، (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ج٣٢، ص٧٢؛ المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢١٠؛ عبد الرحمن زكي، مدينة القاهرة ، ص١١٥.

الأول في(٢٩ذي الحجة٩٢٣هـ /١١يناير١٥١٨م). [٢٢] ومن ضمن أملاك السلطان فرج بن برقوق التي أطلق عليها الدهيشة أيضًا، مدرسته التي تقع تجاه باب زويلة. [٢٣]

وفي عصر السلطان المؤيد شيخ المحمودي(٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)، أطلق على القاعة التي أنشأها رئيس أطبائه فتح الله بن المعتصم بن النفيس[٢٤] سنة

(٢٢)أبي السُرور البكري(شمس الدين محمد بن محمد)، (ت١٠٨٧هـ/١٦٧٦م)، الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة، تحقيق وتعليق: عبد الرازق عبد الرازق عيسى، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٩٩٧م، ص٧٤.

(٢٣) ابن إياس(محمد بن أحمد)، (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م ، ج١، ق٢، ص٨٢٢.

(٢٤) فتح الله بن المعتصم بن النفيس، ولد بتبريز، ونشأ بالقاهرة، برع في الفقه ودراسة عدة لغات واتقنها، كما تفوق في الطب، فولاه الظاهر برقوق رياسة الاطباء، ثم كتابة السر، ثم قتله المؤيد شيخ سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م). المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٥، ص٤٣٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٢٩؛ ابن تغري بردي، ج١٢، ص٩٨؛ ابن شاهين الملطي (عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين)، (ت٩٢٠هـ

(٨١٦هـ/١٤٨١م)، في منزله بخط سويقة المسعودي "قاعة الدهيشة"، وجعل فيها فسقية ماء ينخرط إليها الماء بواسطة شاذروان أبدع صانعه في تشييده.[٢٥] وفي عصر السلطان الظاهر جقمق(٨٤٢-٨٤٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م)، أنشأ دار لإيواء الفقراء من أهل الحرمين، عُرفت بـ "الدهيشة". [٢٦] إضافة إلى قاعة الدهيشة من قاعات القلعة[٢٧] موضع الدراسة.

/١٥١٤م)، نيل الأمل في ذيل الدول تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ج٣، ص١٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٩، ص١٨٠؛ أحمد السيد دراج، صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية، الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي، ١٩٨١م، ص٨٧.

(٢٥) المقريزي، الخطط، ج٣، ص١١٥؛ عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة، ص١١٠.

(٢٦) ابن شاهين الملطي، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من الأساطين، تح: محمد كمال عزالدين، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٩٨٧م، ص٢٧.

(٢٧) تشمل قلعة الجبل قاعة العواميد، والبيسرية، والبحرة، والأشرفية، رمضان، المظفرية، المعلقة، البربرية، الإنشاء، الصالحية، القاعات السبع. المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٨٥، ٤٨٩، ج٥، ص٢٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٩٢، ج١١، ٣٦٦، ابن شاهين الظاهري(غرس الدين خليل)، (ت٨٧٣هـ/١٤٦٩م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق

الوصف المعماري لقاعة الدهيشة

تقع هذه القاعة ضمن المنشآت المعمارية لقلعة الجبل التي مرت بإضافات معمارية خلال فترات زمنية متفاوتة، فقد شرع في بناءها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) في جزء من أرض الحوش السلطاني، ملاصقة للدور السلطانية، وبالتالي فهي تقع في الجهة الشرقية القبلية من جامع محمد على بالقلعة، وقد اندثرت الآن. (٢٨)

والمسالك، اعتنى بتصحيحه: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٣م، ص٢٦-٢٧.

(٢٨) ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٢٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٦٠، ٤٨٥؛ زينات بيطار، فن العمارة والزخرفة في الإمارة التنوخية (إمارة الغرب وبيروت)، مؤسسة التراث الدرزي، ٢٠١٠م، ص١٥٢؛ بول كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ص١٥٣؛ عثمان على عطا، مجالس الشوري في عصر سلاطين المماليك(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٥٧-٥٨؛ خالد عزب، دار السلطنة في مصر العمارة والتحولات السياسية، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧م، ص٩٥.

وقد شرع الملك الصالح إسماعيل(٧٤٣-٧٤٦هـ/١٣٤٢م-١٣٤٥م) بإتمامها[٢٩]على أجمل صورة، حتى تضاهي دهيشة حماة،[٣٠] فقد أمر مهندسيه "آقجبا وأبجيج" بالسفر إلى حماة لمعرفة محتوايتها، ثم أرسل في طلب ألفي حجر أبيض وألفي حجر أحمر من دمشق وحلب، فحملت على ظهور الجمال إلى مصر، كذلك نقل إليها الرخام من بيوت الأمراء والكُتاب، وتم فرشها بأفضل أنواع السجاد ومختلف المقاعد المنسوجة بخيوط مذهبة وفضية،[٣١]وما يعجز الواصف عن ذكره من التحف الذهبية والفضية.[٣٢]حتى تمت عمارتها في شهر رمضان(٧٤٣هـ/١٣٤٣م) أو[٣٣] (سنة٧٤٤ هـ/١٣٤٤م)أو

(٢٩) ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٢٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٦٠، ٤٨٥؛ زينات بيطار، فن العمارة، ص١٥٢.

(٣٠) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٨٧؛ الخطط، ج٣، ص٣٦٩-٣٧٠؛ ابن شاهين الملطي، نزهة الأساطين ، ص٩٨؛ علي نجم عيسى، حماه في ظل الأيوبيين، ص١٣٤.

(٣١)المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤٠٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ، ج١٠، ص٨٩-٩٠.

(٣٢) المقريزي، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م، ج٢، ص ٤٣.

(٣٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٨٩.

(٧٤٥هـ/١٣٤٥م)، على حد ترجيح المقريزي الأقرب إلى الصحة ،[٣٤] ولم يمكث بها السلطان طويلًا نظرًا لوفاته سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م).[٣٥] وقد بلغ إجمالي الإنفاق عليها خمسمائة ألف درهم.[٣٦] وقد خصص السلطان إسماعيل أوقاف على هذه القاعة، يدعم ذلك ما أورده السخاوي أنه "زاد في أوقاف جامعها الناصري".[٣٧]

استمرت قاعة الدهيشة على هذه النشأة الخلابة، حتى عصر السلطان قانصوه الغوري(٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م)، فقد شملت هذه القاعة في(المحرم سنة٩١١هـ/ يونيو١٥٠٥م)

(٣٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٨٧؛ الخطط، ج٣، ص٣٦٩-٣٧٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٨٩-٩٠، حاشية(٤)؛ عبد الرحمن زكي، قلعة الجبل "صلاح الدين"، دار النيل للطباعة، ١٩٥٠م، ص٤٦-٤٧؛ قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة، مكتبة نهضة ومطبعتها، ١٩٦٠م، ص٤٢؛ عثمان على عطا، مجالس الشوري، ص٥٧-٥٨.

(٣٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٠٤.

(٣٦) المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص٤٣.

(٣٧)السخاوي(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)،(ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تح: حسن إسماعيل مروة، دار ابن العماد، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ج١، ص٧٦.

تجديدات متنوعة في: أرضيتها التي تمت فراشتها بالرخام الملون، الذي تم جلبه من رخام قاعات كاتب السر أبو بكر بن مزهر[٣٨]، والسقوف والأبواب، وكافة محتوياتها حتى صارت أكثر إدهاشاً للناظرين.[٣٩]وقد أشار ابن إياس إلى تجديد آخر قام به السلطان الغوري في(رمضان سنة ٩٢٢هـ/ أكتوبر١٥١٦م) دون وصف لهذا التجديد. [٤٠] لكن تلك الصورة المهمة، التي وصلت إليها الدهيشة في عصر السلاطين المماليك، اختلفت بعد ذلك، عندما بدأ نجمها في الأفول مع بداية بزوع نجم العثمانيين، فنرى السلطان سليم العثماني (٩١٨-٩٢٦ هـ/١٥١٢-١٥٢٠م) يأمر في(ربيع

(٣٨) محمد بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن مزهر الأنصاري، ولي نظر الخاص، ثم الحسبة، ثم كتابة السر، توفي سنة(٩١٦هـ/١٥١١م). السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن)، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، نظم العقيان في أعيان الأعيان، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، ١٩٢٧م، ص١٤٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ١٥-١٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١٠، ص١٠٦؛ نجلاء مصطفى شيحة، وكيل بيت المال لسلطنة المماليك(٦٤٨-٩٢٣هـ /١٢٥٠-١٥١٧م)، حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، مج٣، ٢٠١٤م، ص٢٩٧.

(٣٩) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٨٠.

(٤٠) المصدر السابق، ج٥، ص١٢١.

الأول٩٢٣هـ/مايو١٥١٧م) بفك رخام قاعة الدهيشة ربما لاستخدامه في عمائر أخرى.(٤١)

قاعة الدهيشة شاهد عيان على الشأن السياسي

انطلاقًا من هذا الزخم التاريخي، المرتبط بقلعة الجبل منذ نشأتها في العصر الأيوبي، واستمرارها مقرًا لإدارة شؤون الدولة حتى مطلع العصر الحديث، شهدت جبناتها على أحداث شتى تحدث عنها القاصي والداني، لكن خصوصية كل بقعة من بقاعها والتدقيق فيها أتاح لنا أن نكتب عن دهاليزها أسرارها، ونفك بها شفرات أحداثها، ومن ضمن تلك البقاع: أحد قاعتها "الدهيشة"، فكانت شاهد عيان على كثير من الأحداث السياسية ومنها:

أ- ولاية العرش

عانت المنظومة السياسية في مصر المملوكية من عدم وجود نظام ثابت لولاية العرش، لكن النظرية الأكثر تفاعلًا لدى العقل الجمعي المملوكي، هي نظرية القوة، فالشخص صاحب القوة والنفوذ والأكثر امتلاكاً لعدد المماليك تستقر السلطة في يده، وإن استمر نظام الوراثة خلال فترات حكم بعض السلاطين،

(٤١) المصدر السابق، ج٥، ص١٧٩.

لكنها تنتهي بنفس المبدأ السابق، لذا عانت مصر من انقلابات متعدده أضعفت جسدها على مدار حكم المماليك. وقد شهدت قاعة الدهيشة على كثير من هذه النماذج منها: في ثنايا الحديث عن الانقلاب الذي تزعمه مَلِكْتَمُر الحجازي[٤٢] وآق سنقر[٤٣]

(٤٢) مَلِكْتَمُر بن عبد الله الحجازي الناصري، اشتراه السلطان الناصر محمد بن قلاوون من الحجاز بما يزيد عن مائة ألف درهم، فعرف بالحجازي، وقيل عرف بالحجازي لاتخاذه زي الحجازيين غطاء لرأسه، حظى عند السلطان بنفوذ واسع حتى زوجه ابنته "خوند تتر الحجازية"، وقتل بتحريض من السلطان المظفر حاجي سنة(٧٤٨هـ/١٣٤٧م). ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٦، ص١٢٠-١٢١؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١١، ص٢٦٩-٢٧٠؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٧٤١؛ النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٨٤؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج١، ص١٤٥؛ صلاح الدين محمد نوار، الطوائف المغولية في مصر: تأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية، (٦٥٨-٧٨٣هـ/١٢٦٠-١٣٨١م)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص١٤٦.

(٤٣) الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبد الله الناصري، ولاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمير مائة ومقدم ألف، وأمير شكار، وزوجه من ابنته، كما ولي أمير آخور، ثم نيابة غزة حتى عصر السلطان إسماعيل الذي ولاه نيابة طرابلس، ثم ولاه السلطان الكامل شعبان إمرة مائة وتقدمة ألف، رغم ذلك انقلب عليه وخلعه، ثم قتله المظفر حاجي سنة(٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

على السلطان الكامل شعبان(٧٤٦-٧٤٧هـ/١٣٤٥-١٣٤٦م)، والنزاع بين الأمراء بين مؤيد ومعارض للانقلاب، هرب السلطان(٤٤) متوجهًا لقتل أخويه "حسين وحاجي" في(جمادى الآخر٧٤٧هـ/أكتوبر١٣٤٦م) -حتى لا يتولى أي منهما السلطنة من بعده- الذي أمر بحبسهما سابقًا في موضع بالدهيشة، فاتجه إلى باب السلسلة فلم يُفتح له إلا بعد جهد كبير، ثم توجه إلى قاعة الدهيشة التي تحصّن بها أخويه بمساعدة الخدام، فأغلقوا أبوابها في وجهه، حينئذ صار هائمًا على وجهه لا يدري ما يفعل حتى اتجه إلى بيت أمه بالقلعة فأختفي به، ثم اتجه كثير من الأمراء لسؤال الخدام عن "حسين وحاجي"، فأجابوا أنهما في الدهيشة، فتوجهوا إلى باب الحوش وصعدوا إلى الدهيشة فأخرجوا "حاجي وحسين" وفي الوقت ذاته تم مخاطبة الأمير حاجي بالملك المظفر، وتم إعلانه

ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٤٩٦-٤٩٩؛ النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٧٨؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٤٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٦٩؛ سامي أحمد عبدالحليم إمام، مسجد الأمير آق سنقر الناصري إبراهيم أغا مستحفظان(٧٤٧-٧٤٨هـ /١٣٤٦-١٣٤٧م)، مجلة كلية الآداب، ع٣، ٤، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ١٩٨٢م، ٢٦٤-٢٧٠.

(٤٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٣٩.

سلطاناً، أما السلطان الكامل فتتبعه الأمراء حتى قبضوا عليه[٤٥]، ومضوا به إلى قاعة الدهيشة حيث سُجن في نفس الموضع الذي سجن فيه أخويه من قبل[٤٦]، فما بين طرفة عين تتغير الأحوال فمن كان سلطان بالأمس القريب أصبح سجيناً، ومن كان سجيناً أصبح سلطاناً، حتى السماط الذي تم إعداده للسلطان الكامل ليأكل منه، مع إفراد اليسير منه إلى أخويه السجينين في الدهيشة حاجي وحسين، أكل السلطان من اليسير بعد أن سجن مكان أخويه، وبعد سجن الكامل لمدة ثلاثة أيام أمر حاجي بخنقه بالدهيشة ليلة الخميس(٣جمادي الآخرة ٧٤٧هـ/٢٠سبتمبر١٣٤٦م). [٤٧]

(٤٥) ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تح: محمد كمال عزالدين، ط١، ١٩٨٥م، ص٣٩٨؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٣٤-٣٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٤٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥١١-٥١٢.

(٤٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٤٨؛ السخاوي، الذيل التام على دول الإسلام، ج١، ص٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥١١-٥١٢.

(٤٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٤٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥١١-٥١٢.

وتستمر موجات الانقلابات التي تشهد عليها تلك القاعة، فقد كانت شاهدة عيان على انقلاب آخر يتزعمه الأمير طاز(٤٨) بمعاونة كثير من الأمراء على السلطان حسن يوم (الأحد١٧ جمادى الآخرة٧٥٢ هـ/١٠أغسطس١٣٥١م)، فصعد الجميع

(٤٨) الأمير سيف الدين طاز بن عبد الله الناصري، من مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ومن خاصكيته، حتى صار أعظم أمراء مصر، كانت اليد المدبرة لخلع السلطان حسن، وولاية أخية السلطان الملك الصالح صالح، لكن بدأ نجمه في الأفول بعد عودة السلطان حسن إلى السلطنة على يد الأمير شيخون، وتوفي سنة(٧٦٣هـ/١٣٦٢م). الصفدي، الوافي، ج١٦، ص٣٨٣؛ ابن حبيب(الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر)،(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تح: محمد محمد أمين، سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م ، ج٣، ص٣٢، ١٥٩، ١٧٦، ٢١٢، ٢٥٥؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص٣٦٢-٣٦٥؛ الدليل الشافي، ج١، ص٣٥٧؛ النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥؛ غزوان مصطفى ياغى، منازل القاهرة ومقاعدها فى العصرين المملوكى والعثمانى : دراسة اثرية وحضارية، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤م، ص٣٧-٣٨.

Steenbergen, Jo van, Caliphate and Kingship in a Fifteenth-Century Literary History of Muslim Leadership and Pilgrimage al-Dahab al-masbuk fi dikr man ḥagga min al-hulafa wa-l-muluk. Critical Edition, Annotated Translation, and Study, Brill, ٢٠١٦, p.٤٠٣.

القلعة حتى وصلوا الحوش ومنه إلى الدهيشة وبها السلطان فقبض عليه ثم أدخلوه إلى دور الحرم، ووكلوا به جماعة من الخدام. [٤٩] ويتكرر نفس الإنقلاب على السلطان حسن في سلطنته الثانية بالدهيشة في(٢شوال٧٥٥ هـ /١٩ أكتوبر١٣٥٤م)، لكن الرأس المدبر في هذه المرة الأمير شيخو [٥٠] ومجموعة من الأمراء.[٥١]

كما شهدت دهيشة السلطان الصالح حاجي ابن الأشرف شعبان(٧٨٣-٧٨٤هـ/١٣٨١-١٣٨٢م) على خلعه في (١٩رمضان٧٨٤هـ/٢٥نوفمبر ١٣٨٢م)، فقد صعد الأمير

(٤٩) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٣٧.

(٥٠) سيف الدين شيخو بن عبد الله الناصري، أحد كُتاب الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم صار من أعيان الأمراء في عصر السلطان حاجي، ولي نيابة طرابلس، وسجن بالإسكندرية سنة(٧٥١هـ/١٣٥٠م) ثم أفرج عنه في السنة التالية، كما شارك في خلع السلطان صالح وتنصيب السلطان حسن مرة ثانية، فصار صاحب الحل والعقد في السلطنة، وتوفي سنة(٧٥٨هـ/١٣٥٧م). الصفدي، الوافي، ج١٦، ص ١٢٤-١٢٥؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٢٣١؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص٢٥٧-٢٦٢؛ الدليل الشافي، ج١، ص٣٤٦؛ النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٥١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٥٢.

قُطْلُوبُغَا الكُوكَائي(٥٢) وأَلْطُنْبغا المعلم(٥٣) إلى القلعة، ودخلا على السلطان حاجي أثناء جلوسه بالدهيشة، فأدخلوه إلى أهله بالدور السلطانية، واستولوا على النمجاة(٥٤) الخاصة به

(٥٢) الأمير سيف الدين بن عبد الله الكُوكَاي نسبة إلى مُعتقه الأمير كوكاي كان أحد الأمراء في دولة السلطان شعبان، ثم أمير سلاح في عصر السلطان الصالح حاجي، ثم حاجبًا للحجاب في عصر الظاهر برقوق، وتوفي سنة(٧٨٥هـ/١٣٨٣م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٩، ص٨٠-٨١؛ النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٩٨؛ الصيرفي(الخطيب الجوهري على بن داود)، (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسن حبشي، دار الكتب، ١٩٧١م ، ج١، ص٩٠.

(٥٣) الأمير علاء الدين أَلْطُنْبغا بن عبد الله، المعروف بالمعلم، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، ثم ولاه السلطان برقوق أمير سلاح، شارك في الإنقلاب الذي تزعمه منطاش ويلبغا الناصري، ثم قبض عليه منطاش بعد أن انقلب على يلبغا وأعاد برقوق إلى السلطنة ثانية، ثم أُفرج عنه وولي نيابة نيابة الإسكندرية، ثم سجن ثانية حتى وفاته سنة(٧٩٤هـ/١٣٩٢م). المقريزي، السلوك، ج٥، ص٢١١؛ ٢٣٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٧٧-٧٨؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٥٢؛ النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥، ٣٦، ٤٠، ٥٥

(٥٤) نمجاه، لفظ فارسى أصله نيمجة ومعناه السيف القصير، وعربت إلى نمجاه وتدل على سلاح هجــومى للطعــن على شكل عود قصير من الحديد المصقول له مقبض وسنان معكوف وهو أطول من السكين، وأقصر من

وأعطوها إلى الأمير برقوق الذي تسلطن حينئذ.[٥٥] وشهدت أيضًا على اعادته للسلطنة مرة ثانية في(جمادى الأولى٧٩١هـ/ مارس ١٣٨٩م)، بعد اتفاق الأمراء وعلى رأسهم الأمير يلبغا الناصري[٥٦]، الذي دخل إلى الدهيشة،

السيف يختص به السلطان دون غيره. القلقشندي(أبو العباس احمد بن على)، (ت٨٢١هـ /١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م، ج٤، ص٢٤، ٢٠٢؛ أحمد محمد أحمد الشربينى، ألفاظ الحياة العسكرية فى كتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، دراسة دلالية ومعجم، رسالة ماجستير، كلية دارالعلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٧٦-١٧٧.

(٥٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢١٥؛ بدر الدين العيني(أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى)، (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م) من خلال مخطوط عقد الجمان من تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني، تح: إيمان شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٢٠.

(٥٦) الأمير سيف الدين يلبغا بن عبد الله الناصري الظاهري الأتابكي، ترجع نسبته بالناصري إلى جالبه خواجا ناصر الدين، من مماليك الظاهر برقوق ومن أعيان خاصكيته، ترقي في المناصب حتى وصل في عصر السلطان فرج بن برقوق إلى أمير مائه ومقدم ألف ثم حاجب الحجاب، وأتابكًا للعسكر في عصر السلطان المؤيد شيخ، وتوفي سنة(٨١٧هـ/١٤١٤م). ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٥١؛ ابن تغري

وأمر باستدعاء السلطان حاجي من دور الحرم، ثم تمت مبايعته بالسلطنة في حضور الخليفة والقضاة الأربعة في تلك القاعة. (٥٧)

شهدت الدهيشة على هذه المواقف التي تبين أن السبيل لاعتلاء عرش السلطنة هو الانقلاب، بينما هناك بعض المواقف الأخرى التي تشهد فيها السلطنة تداول السلطة بطريقة مألوفة سلمية، ومن ذلك نرى جلوس السلطان برسباي في (شوال٨٤١ هـ/ إبريل١٤٣٨م) على مقعده الذي أنشأه على باب قاعة الدهيشة، المطل على الحوش السلطاني، وبجانبه الخليفة المعتضد بالله أبو الفتح داود(٨١٦-٨٤٥هـ/١٤١٣-١٤٤٢م)، والقضاة والأمير الكبير جقمق، وبدأ نائب كاتب السر بولاية العهد ليوسف ابن السلطان برسباي، وشهد السلطان والخليفة والقضاة على ذلك العهد. ثم وجه السلطان حديثه إلى المماليك الجلبان معاتبًا لهم على كثير من أفعالهم

بردي، المنهل الصافي، ج١٢، ص١٧١-١٧٢؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٧٩٤؛ النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٣٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٢، ص٣٤٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٩٠.

(٥٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٠٢.

التي هددت كيان الدولة المملوكية، ثم عفوه عنهم بعد اصابتهم بالطاعون فمات كثير منهم، ثم أوصاهم بأن: يكونوا في طاعة ابنه، وألا يُغِيروا على أحد من الأمراء، وألا يتنازعون فيهلكوا، وأنه ضيفًا عندهم لشعوره بأجله الذي اقترب، عندئذ ضج الناس بالبكاء والدعاء له، ثم أمر بنفقة لجميع المماليك السلطانية لكل واحد منهم ثلاثين دينار فقبّل الجميع الأرض وضجوا له بالدعاء.(٥٨)

وتأكيدًا على مبدأ الشورى الذي رَغِبَ السلطان المملوكي جقمق في التمسك به، لضمان الحفاظ على السلطنة من التمرد والاضطراب الذي قد ينتج عن ترشيحه لسلطان على غير هوى الإجماع العام من الخليفة والقضاة وأمرائه وغيرهم من كبار رجال الدولة، فقد حضرت الدهيشة هذه المشورة بينهم وبين السلطان في يوم (الخميس١١محرم٨٥٧هـ/٢١يناير ١٤٥٣م) الذي خلع نفسه من السلطنة، وقال للخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزه(٨٥٤ -٨٥٩هـ/١٤٥٠-١٤٥٥م) والقضاة: "الأمر لكم فانظروا فيمن تسلطنوه"، فأراد بذلك أن يترك لهم حرية الاختيار وألا يتحمل وزر ولاية ابنه إن كان

(٥٨)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٠٢-١٠٤.

غير أهلاً للسلطنة، لكن الخليفة أصر على ولاية المقام الفخري عثمان لما اشتمل عليه من العلم والفضل، فبايعه بالسلطنة وتسلطن في حياة والده بتلك القاعة التي شهدت تنصيبه سلطانًا،(٥٩)وباشر عثمان شؤون الحكم فركب من باب الدهيشة والأمراء بين يديه حتى وصل القصر الكبير، وجلس على عرش السلطنة، ودقت له البشائر بالقلعة، وارتفعت أصوات الناس له بالدعاء.(٦٠)

ولما كان مبدأ المشورة نابعًا من السلطان ذاته في الموقف السابق، لضمان استقرار الحكم، نرى أسبقية القضاة الأربعة والخليفة أبو المحاسن يوسف بن المتوكل على الله المستنجد بالله الثاني(٨٥٩-٨٨٤هـ/١٤٥٥-١٤٧٩م) بتلبية دعوة الأمير خُشْقَدم "السلطان خشقدم فيما بعد(٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦١-١٤٦٧م)" في يوم (الأربعاء١٤جمادي

(٥٩) المصدر السابق، ج١٥، ص٤٥٢-٤٥٣، ج١٦، ص٢٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٩٩.

(٦٠) ابن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تح: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ج٢، ص١٦٤؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص٦٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٠١.

الأولى٨٦٥هـ/٢٤فبراير١٤٦١م)، بالتوجه إلى القلعة للمشورة فيمن يتولى السلطنة بعد وفاة السلطان إينال(٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣م-١٤٦١م)الذي اشتد مرضه آنذاك، فتوافدوا فُرادى بدهليز قاعة الدهيشة حتى اكتمل الجمع، فتكلموا في أمر سلطنة المؤيد أحمد خاصة أن والده لم يعهد إليه قبل ذلك بالسلطنة، فعرض القاضي كاتب السر محب الدين بن الشّحْنة[٦١] أن يكون المؤيد أحمد نائبًا في السلطنة في حياة والده ثم يسير سلطانًا بعد وفاته، وقد وجد هذا العرض ترحيبًا من الحاضرين الذين دخلوا إلى قاعة الدهيشة وبها السلطان إينال فحدّثه الأمير يونس الدوادار [٦٢]في أمر سلطنة ابنه

(٦١) محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي، المعروف بابن الشّحْنَة الحلبي، ولي كتابة السر، ثم قضاء الحنفية، ثم مشيخة الشيخونية بالقاهرة، وتوفي سنة(٨٩٠هـ/١٤٨٥م). السيوطي، نظم العقيان ، ص١٩١؛ محمد راغب الطباخ الحلبي، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تح: محمد كمال، دار القلم العربي، حلب، ط٢، ١٩٨٨م، ج٥، ص٢٩٩.

(٦٢) الأمير سيف الدين يونس بن عبد الله السيفي آقباي، من مماليك الأمير آقبَاي المؤيدي نائب الشام، اتصل بعد موت أستاذه، بخدمة السلطان المؤيد شيخ، ثم صار خاصكيًا في سلطنة ططر، ثم ساقيًا في سلطنة جقمق، ثم ولي أمير عشرة، ثم شاد الشراب خاناه، ثم أمير مائة وتقدمة ألف، ثم ولي

المؤيد، لكنه لم يستطع الرد لمدة طويلة لشدة مرضة فخرجوا إلى ولده المؤيد وهو جالس بدهليز الدهيشة عند الشباك، وأخبروه بما يريدوا معرفته عن ولاية العهد فلم يحرك ساكناً، ثم عاودوا سؤال الملك الأشرف في أمر سلطنة ابنه ثانية، وأخيرًا تكلم بعد وقت بكلمة واحدة بالتركية "أُغلم، أُغلم" بمعنى "ابني، ابني"، وتعتبر هذه إشارة بالعهد لابنه المؤيد بولاية السلطنة، وقد شهدت الدهيشة بيعة السلطان الجديد، فقام كاتب السر بتحليف الأمراء على مواثيق الولاء والطاعة وحينما تم الانتهاء من التحليف وإتمام البيعة، تمت مراسم الاحتفال التي بادر فيها الأمراء والخاصكية والأعيان بلبس الكُلْفِتَاه[٦٣]والتتري الأبيض[٦٤]، كما أُحضرت خلعة السلطنة

الدوادارية الكبرى، وتوفي في(رمضان٨٦٥هـ/يوليو١٤٦١م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣١٣؛ المنهل الصافي، ج١٢، ص٢٦٩-٢٧٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٨٠؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج٦، ص١١٤.

(٦٣) الكُلْفِتَاه: غطاء للرأس على هيئة طاقية، كانت تُلبس وحدها أو بعمامة. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص٤٩؛ حسان حلاق، وعباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩١م

الخليفتية السوداء، ولفت عمامة سوداء حرير، فقام السلطان الجديد بلبس الخلعة والعمامة، ثم صار بموكبه من باب الدهيشة على فرس النوبة بسرجه المذهب وكنبوش زركش(٦٥)، والأمراء والأعيان بين يديه حتى دخل القصر السلطاني. (٦٦)

ب-الجرائم والعقوبات

ص١٩٠-١٩١؛ إبراهيم الدسوقي شتا، المعجم الفارسي الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م، ج٣، ص ٢٢٥٣.

(٦٤) التتري، نوع من الأردية تشبه القباء، خيطت على الطريقة التترية. حسان حلاق، المعجم الجامع، ص٥١.

(٦٥) الكنبوش، البرذعة التي توضع تحت سرج الخيل، أما الزركش فهي الثوب يطرز حواشيه بخيوط من ذهب. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٢٠؛ حسان حلاق، المرجع السابق ص١٩١

(٦٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٥٦، ٢١٨-٢١٩؛ السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص١٥٠-١٥١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٦٧، ٣٧٠؛ نبيل محمد عبد العزيز، وثيقة عهد السلطان المؤيد أبي الفتح أحمد بن الملك الأشرف أبي النصر أينال العلائي الظاهري مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م، ص٩١.

الجريمة ظاهرة إنسانية مجتمعية، تتعد دوافعها بين السياسة، والاقتصاد، ونواتج أخلاقيات المجتمع وسلوكه التي تتفاوت بين فرد وآخر، فبين حاكم ورعية تتفاوت درجة العقوبة التي قد يستغني عنها البعض بالاكتفاء بالزجر، بينما يبالغ البعض في ارتكاب أقصاها "القتل" بين الجائز والمحظور. شهدت قاعة الدهيشة على مثل هذه النماذج، فقدت جسدت حادثة مقتل السلطان فرج بن برقوق لزوجته خَونْد بنْتَ صُرُق(٦٧) بقاعة الدهيشة، أمرًا مروعًا استجابة لوشاية أوجبت فيها الشريعة التبين قبل إصابة قوم بجهالة، وهو ما لم يتبعه السلطان الذي ما أن تدارك إلى سمعه اجتماع زوجته بالأمير شهاب الدين أحمد الطبلاوي(٦٨)، ووجود خاتم لها في بيته، أن طلب حضورها، وقد ظنت أن السلطان يرغب في ردها لعصمته بعد

(٦٧) خَونْد بنت الأمير سيف الدين صُرُق بن عبد الله الظاهري، أحد مقدمي الألوان بالديار المصرية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص٣٤٦.

(٦٨) شهاب الدين أحمد بن محمد الطبلاوي والي القاهرة وكاشف الشرقية، قتل في(٢٤ ذي القعدة٨١٤هـ/ ٧ مارس١٤١٢م). المقريزي، السلوك، ج٦، ص٣١١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٣٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢١٤.

أن طلقها سابقًا، فلبست أفخر ثيابها وتزينت وقدمت إليه، فما كان منه إلا أن قابلها بغدر فضربها بالنمجاة، فقطع أصابعها ثم ذراعها ثم رأسها، ثم حملها إلى قاعة الدهيشة ووضعها بين يديه وغطَّاها بفوطة، ثم أمر باستدعاء ابن الطبلاوي، وكشف له عن رأسها سائلًا إياه عن صاحب هذه الرأس فأندهش مما رآه ثم ضربه بالنمجاة، وأمر بدفنهما معًا في(٢٤ ذي القعدة٨١٤هـ/ ٧ مارس١٤١٢م) .[٦٩]

وعلى صعيد الانقلابات المتكررة التي هي علامة واضحة في مصر المملوكية، حازت الدهيشة برؤية بعضها والجنوح إلى تتويجها بالقتل، فمن ذلك نرى اتفاق الأمير يرش[٧٠] مع مجموعة من مماليك السلطان خشقدم(٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٧-١٤٦١م) للهجوم عليه وقتله في (ذو الحجة٨٦٨هـ/أغسطس١٤٦٤م)، أثناء تواجده في قاعة

(٦٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٣١.

(٧٠) يرش الدوادراي جانبك، لم نعرف عنه سوي ما ذكره السخاوي أن وفاته كانت سنة (٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م). الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٦٩؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج٥، ص١٩٥.

الدهيشة وقت الظهر، لكن السلطان علم بما خطط له فكانت عاقبته الموت غرقًا. (٧١)

وأخرى أُرتكبت فعليًا على مقربة منها، فهذا الأتابكي قصروه (٧٢)معتادًا على المبيت في القلعة يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، ففي إحدى جلساته مع السلطان طومان باي في

(٧١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٢٢.

(٧٢) قصروه، ولي نيابة الشام في عصر السلطان قايتباي في (ربيع ٨٩٦هـ/فبراير١٤٩١م)، ثم ولاية حلب في(ربيع أول ٩٠٤هـ/نوفمبر١٤٩٨م)، ثم انتقل إلى الشام مرة ثانية في (ذي الحجة٩٠٤/اغسطس ١٤٩٩م)، واستمر اضطرابه حتى نهاية عصر السلطان جنبلاط، فكان له الدور الأكبر في خلعه وسلطنة طومان باي، فعهد الأخير له بالأتابكية في مصر، لكنه لم يكن يأمن مكره فقبض عليه وقتله في (رجب ٩٠٦هـ /فبراير١٥٠١م). ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٥، ٢٨٠، ٤٠٧، ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦. ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه)، (ت٩٥٣هـ) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ١٦٩، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢؛ إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، المطبعة والجريدة الرسمية، ١٩٦٤م، ص ١١٢، ١١٣، ١١٩، ١٢١، ١٣١.

(رجب٩٠٦هـ/فبراير١٥٠١م)، عبر الأخير عن خوفه من تمرده عليه بقوله: "والله قلبي خائف منك يا أمير كبير"، وبعد الانتهاء من صلاة العشاء أمر السلطان بعض خاصكيته القبض عليه، فذهبوا به إلى ملاذًا آمنًا بجوار قاعة الدهيشة تحفظوا عليه لعدة أيام حتى أمر السلطان بخنقه ليلًا. (٧٣)

وتحت شبكها قطعت رؤوس ثلاثة من مماليك السلطان قانصوه الغوري، ثم عُلقت على باب زويلة في(ربيع آخر٩٢٧هـ/ مارس١٥٢١م) بيد خاير بك(٧٤)، وذلك لهروبهم

(٧٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٦٧.

(٧٤) خاير بك بن ملباي المحمودي، أحد أمراء المماليك الجراكسة، وأول والٍ على مصر بعد الحكم العثماني، يرجع أصله إلى بلدة صمصوم بجورجيا، كان من مماليك السلطان قايتباي، ترقى في المناصب حتى وصل إلى حاجب الحجاب في عصر السلطان قانصوه الغوري ثم نائبًا لحلب، أتصل سرًا بالسلطان سليم العثماني وتحالف معه لإسقاط المماليك، وهو ما أدي للهزيمة في مرج دابق(٩٢٢هـ/١٥١٦م)، لذا يطلق عليه المصريون لقب خائن بك، توفي سنة(٩٢٨هـ/١٥٢١م). ابن إياس، المصدر السابق، ج٥، ص٢٠٩، ٣٦٩، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٥؛ محمد التونجي، بلاد الشام إبان العهد العثماني، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٩٦.

إلى الشام ودخولهم في طاعة جان بردي الغزالي[٧٥] الذي هزم أمام خاير بك فرجع هؤلاء ليلاقوا هذا المصير.[٧٦]

(٧٥) جان بردي بن عبد الله الشركسي، من مماليك السلطان قايتباي اشتراه طفلًا ثم اعتقه، اشتهر بالغزالي، نسبة لمكان عمله في ضيعة بمنية غزال بالشرقية، ولي محتسبًا للقاهرة في عصر السلطان الغوري، ثم حاجبًا في حلب، ثم في دمشق سنة(٩١١هـ/١٥٠٥م)، ثم واليًا على صفد سنة(٩١٧هـ/١٥١١م)، ثم واليًا على حماه سنة(٩١٨هـ/١٥١٢م)، ثم ولاه السلطان سليم العثماني دمشق، ثم ثار على حكم العثمانيين في الشام في عصر السلطان سليمان القانوني، فهزم في معركة المصطبة قرب دمشق، ثم أرسل إلى استانبول، وتوفى سنة (٩٢٨هـ/١٥٢١م). ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٨٥، ٩٣، ٣٨٣؛ ابن طولون، إعلام الوري، ص١٩٦، ٢١٩، ٢٤١؛ الغزي(نجم الدين محمد بن محمد)، (١٠٦١هـ/١٦٥١م)، الكواكب السائرة بأعيان العاشرة، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ج١، ١٦٨؛ فيصل عبد الله أحمد الكندي، جان بردي الغزالي وموقفه من العثمانيين، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع١٧، ١٩٩٦م، ص١٦-١٨؛ ، خلف بن دبلان بن خضر الوذينانى، ولاية جان بردى الغزالى علي الشام "٩٢٣ - ٩٢٧ هـ/ ١٥١٧ - ١٥٢٠ م"، مجلة المؤرخ العربي، ع٦، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ١٩٨٨م، ص٤٩٠؛

Danismcend, Ismail Hami, Izahli Osmanli Tarihi Kronoli Jisi Turkiye Yeylnevi, Istanbul, ١٩٧١, p. ٦٦.

شهدت الدهيشة بعض الوسائل التأديبية الأخرى لبعض الأمراء الذين حادوا عن الصواب، واقترفوا كثيرًا من الجُرم في حق الرعية والدولة، فكان الضرب والإهانة سبيلًا لردعهم، فقد أساء زين الدين الأستادار(٧٧) استخدام سلطته، فجمع كثير من الأموال لحسابه دون وجه حق، فكان مصيره على يد السلطان إينال الذي أمر بنفيه أولًا إلى القدس في(صفر٨٥٨هـ/فبراير١٤٥٤م)، ثم استدعائه لمصر، لإجباره على رد ما أستولى عليه، بل وبذل الكثير من الأموال، لكنه أقر بعدم امتلاكه أية أموال، ورغبة منه في عفو السلطان

(٧٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٣٨٧.

(٧٧) الأمير زين الدين يحيى بن عبد الرازق الزيني القبطي الأرمني الأستادار، ولد بمصر قبل أوائل القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، تدرج في وظائف الدولة فُعين ناظر الديوان المفرد، ثم ناظرًا للاسطبل السلطاني، وحسبة القاهرة التي من خلالها استطاع الحصول على أمواله كثيرة بطرق غير مشروعة، جاءت بالوبال عليه فسجن في القلعة حتى وفاته سنة(٨٧٤هـ/١٤٦٩م). السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٣٣-٢٣٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢١٤؛ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص٢٣٤؛ عاصم محمد رزق، خانقاوات الصوفية في مصر، مكتبة مدبولي، ١٩٩٧م، ج٢، ص٦٣٧.

عنه، عرض عليه أن يبيع أوقافه ويسلمها للسلطان إرضاء له، لكن السلطان لم يقنع، وضربه نحو خمسمائة عصاه بالدهيشة في حضور تمراز الدوادار الثاني(٧٨)، الذي شفع له عند السلطان فقبل السلطان شفاعته، فأعاده إلى الاستادارية، وأضيف إليه كاشف الكشاف بالوجهين القبلي والبحري. (٧٩)

وموقف آخر في الدهيشة كان الضرب فيها أيضًا العقوبة للشهابي أحمد بن العيني(٨٠) الذي تم استدعائه

(٧٨) تمراز الدوادار الثاني الإينالي الأشرفي، ترقى في المناصب من الجندية حتى أتابكية غزة، ثم إمرة عشرة، ثم ولي الداوادارية الثانية، ثم ولي نيابة صفد، اتهم بالكفر بواسطة بعض قضاة السوء فضربت عنقه في(٨٧١هـ/ ١٤٦٧م). السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٦؛ وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تح: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٥م، ج٢، ص٧٨٩؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج٦، ص٢٥٧.

(٧٩) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣١٨.

(٨٠) شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم بن قاض القضاة بدر الدين محمود العيني، تولى عدة وظائف هامة، ورقي لمنصب أمير مائه مقدم ألف، ارتفع شأنه في عصر السلطان خشقدم، لكنه تعرض لكثير من المحن والنكبات في عصر السلطان قايتباي والسلطان قانصوه أبو سعيد، توفي في المدينة المنورة، ودفن في البقيع سنة(٩٠٩هـ/١٥٠٣م). ابن تغري بردي، النجوم

للدهيشة(شعبان٨٧٢هـ/مارس١٤٦٨م)، لبذل ما تقرر عليه من أموال للسلطان قايتباي، فبدأ حديثه معه بتوبيخه بالكلام، ثم توالى في إهانته فبطحه على الأرض بالقاعة، وضربه بيده ثم ضربه عشرين عصاه حتى شق وأدمى كعبه، وأغشي عليه، ثم شفع فيه بعض الأمراء شريطة أن يدفع ما تقرر عليه. (٨١) ولسبب ما، أمر السلطان قايتباي باستدعاء علاء الدين الصابوني(٨٢)إلى الدهيشة في(ربيع أول ٨٧٣هـ/أكتوبر١٤٦٨م)، فضربه ضربًا مبرحًا على رجليه،

الزاهرة، ج١٦، ص٢٧١، ٢٨٣، ٢٩٥، ٣٧٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٣٤٥-٣٤٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٥٧-٥٨؛ محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، ط١، الآفاق العربية،١٩٩٩م، ص٣٧.

(٨١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٩.

(٨٢) العلاء بن الصابوني الدمشقي، نزيل مصر في عصر السلطان خشقدم ونديمه، ولاه نظر الأوقاف بمصر سنة(٨٦٦هـ/١٤٦٢م)، ثم نظر الأوقاف والإسطبل بدمشق، ثم وكيلًا لبيت المال سنة (٨٦٧هـ /١٤٦٣م)، ثم قضاء الشافية في(٨٧٠هـ/ ١٤٦٦م)، ثم عزل عنها في (٨٧٢هـ/١٤٦٨م)، ثم نظر الخاص في عصر السلطان قايتباي سنة(٨٨٣هـ/١٤٧٨م)، ثم وكيلًا لبيت المال. ابن شاهين، نيل الأمل، ج٦، ص١٣٣، ١٤٣، ١٥٣، ٢٢٤، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٤٨، ٣٥٢، ج٧، ص٢٠٦، ٢٨٨.

وألزمه بدفع مائة ألف دينار، فرضخ لذلك فوكل السلطان به مجموعة من الخاصكية حتى يدفع المبلغ المقرر.(٨٣)

وإمعاناً في إذلاله وقهره وإرجافه، عُرض سوار(٨٤) على السلطان قايتباي بعد القبض عليه في بلاد الشام أكثر من مرة، وفي كل مرة يُعرِض عنه ليزيده رهبة وخوفًا من سوء عاقبته، وفي النهاية عُرض عليه وهو جالس في شباك الدهيشة فأمر

(٨٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٢؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج٦، ص٣٤٨؛ محمد أمير، أيام المماليك حكايات المذابح والعروش من الصعلكة إلى كرسي الحكم، د.ت، ص٢٩.

(٨٤) سوار بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغار التركماني، عُرف بشاه سوار نائب الأبلستين ومرعش، كثير الإغارة على من مناطق تابعة لحلب، فشلت السلطنة المملوكية في إخضاعه حتى نجح مؤخرًا الدوادار الكبير يشبك من مهدي من أسره وقتله سنة(٨٧٧هـ/١٤٧٣م). ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٣٥، ج٣، ص١٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢٧٤؛ عبدالعزيز بن فايز بن حسن القبلي، سياسة السلطان الأشرف قايتباي في التعامل مع اللاجئين والمنفيين السياسيين والوفود السياسية في الفترة(٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م)، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم التربوية والاجتماعية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع٢ ،٢٠٢٠م، ص٥٧٣.

بالتشهير به ثم تعليقه على باب زويله حتى مات في (محرم٨٧٧هـ/ يونيو١٤٧٢م).[٨٥]

كذلك كان السجن أحد الوسائل التأديبية لردع المخالفين، لكنه أيضًا وسيله لخلاص السلاطين ممن تخوفوا من وجودهم أحرار واتخذوا من مواقف واهية سببًا للحيلولة بينهم وبين حريتهم، فقد زُجوا بالدهيشة حتى تكون سببًا في ذلك نرى هذا جليًا، حينما اعتذر أخوي السلطان الكامل شعبان "حسين وحاجي" عن عدم الحضور إلى قاعة الدهيشة في(شعبان٧٤٧هـ/ديسمبر١٣٤٦م)، بسبب افراطهم في الشراب فلا يقدرا على السير لمقابلة السلطان، لكن السلطان أصّر على استدعائهم وأرسل إليهم ثانية من أحضرهم، زحفًا على وجوههما وهما في غاية الإهانة والإذلال، واعتذرا للسلطان على عدم تلبية الحضور للسبب السابق، لكن السلطان لم يقنع بحجتهم، حتى حلفا هما وأمهاتهما- اللاتي حضرا إلى السلطان- على صدقهم ثم أمر السلطان بإدخالهما إلى موضع في الدهيشة، ووكل بحراستهم مجموعة من الخُدام، وفي صباح اليوم التالي تعمد أن يدخلهما في عقد تحت الدهيشة، ويبني

(٨٥) السخاوي، الذيل التام على دول الإسلام، ج٢، ص٢٦١.

عليهما حائط، ومن أجل ذلك شرع في رمي الحجارة فوق بعضها حتى سد ذلك العقد، فبدا وكأنه قبر سُد عليهما. (٨٦)

وليكون السلطان المخلوع الملك العزيز بن الأشرف برسباي(٨٤١-٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م-١٤٣٨م) تحت أنظار السلطان جقمق، أمر بنقله من حبسه بالمخدع من قاعة العواميد(٨٧) إلى ذلك السجن الضيق بالدهيشة في(ذي القعدة سنة٨٤٢هـ/ مايو١٤٣٩م)، ووكل به من يحفظه، كما أغلق عليه جميع طاقات سجن الدهيشة حتى صار كالقبر. (٨٨)

يتضح مما سبق أن ذلك السجن المشار إليه، هو نفس الموضع الذي صُمم خصيصًا للأميرين حاجي وحسين، استخدمه السلطان جقمق لسجن الملك العزيز، ولم نعثر على أيّة إشارة

(٨٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٠٨-٥٠٩.

(٨٧) قاعة العواميد أو الأعمدة، شيدتها شجر الدر لتكون مقرًا لها كملكه على مصر، أما بالنسبة للمخدع فهو سجن مخصص لحبس كبار رجال الدولة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٣٠؛ خالد عزب، دار السلطنة، ص٩٢-٩٣؛ بول كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ص٢٢٧.

(٨٨) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٤١٥.

توضح وجود سجن صغير للدهيشة سوى تلك الإشارات، وبالتالي نستطيع القول إنه من إضافات السلطان شعبان للقاعة.

إلى جانب هذه العقوبات المُشار إليها سابقًا، استخدمت الدهيشة لتحديد الإقامة الجبرية للبعض؛ خوفًا عليهم من اضطراب يودى بنهايتهم، فهذا سنبل الطواشي مربي ابن السلطان قانصوه الغوري، يضرب مملوك من المماليك الجلبان مات بسببه، فغضب الجلبان من ذلك وتوعدوا سنبل بالقتل، واشتد تمردهم لدرجة أن السلطان لم يصلّ الجمعة في(٢٩جمادى الآخرة٩٢١هـ/٩أغسطس١٥١٥م)، وأمر بالقبض على سنبل الطواشي وتحديد إقامته الجبرية في قاعة الدهيشة في حراسة أربعة من الخاصكية، وتمت مصادرة ممتلكاته، لكن ذلك لم يرض الجلبان الذين استمروا في إحداث مزيد من الاضطراب حتى تم تسليم سنبل لهم فقتلوه جزاء ما فعله. (٨٩)

اعتُبر العزل من الوظيفة – أيضًا – أحد العقوبات المعنوية التي تؤثر بشكل سلبي على من صُدر بحقه ذلك القرار، وقد شهدت بذلك الدهيشة في حضور القضاة والخليفة أبو البقاء حمزة القائم بأمر الله، الذي عزله إينال في(جمادي الآخر٨٥٩

(٨٩) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٤٦٣-٤٦٤.

هـ/ يونيو١٤٥٥م) وعهد لأخيه أبو المحاسن يوسف بن المتوكل على الله بالخلافة، ولقب بالمستنجد، ولم يعلق القضاة على تلك الحادثة، بل إن قاض الشافعية أجاز فعل السلطان بقوله:" أنَّ للسلطان أن يعزل الخليفة ويولّي غيره."(٩٠)

ج- المصالحات والتحالفات

تكمن ممارسات الدولة السلمية في ردع الأعداء واتقاء شرورهم، بائتلاف قلوبهم ومصالحاتهم، فذلك أزكى من الحروب التي تستنزف مواردها الاقتصادية، وحياة أفرادها. أدرك بعض السلاطين المماليك هذه المخاطر فجنحوا في استئلاف قلوب بعض متمرديها ومصالحتهم ببذل كثير من المنح والعطايا، وتحقيق رغباتهم. ورغم وجود بعض الأخطاء في ذلك المنهج المتبع، لكنه كان يمثل علاجًا ذات تأثير بطيء للحفاظ على أمن السلطنة. شهدت قاعة الدهيشة على مثل هذه المصالحات والتحالفات بين السلطان، والأمراء، والمماليك، فقد اشتدت حدة العلاقة بين السلطان جقمق والمماليك الجلبان في (جمادى الأولى ٨٥٤هـ /يونيو ١٤٥٠م) لأسباب مختلفة منها: رغبتهم في الإفراج عن بعض زملائهم الذي تم القبض

(٩٠) السخاوي، الذيل التام على دول الإسلام، ج٢، ص١٠١-١٠٢.

عليهم سابقًا، طلب تسليمهم المحتسب أبو الخير النحاس(٩١)المتحصن في القلعة، لسياسته المالية الاستفزازية. أصر السلطان على رفض مطالبهم، فازداد الموقف تأزمًا، حينئذ رغب بعض الأمراء في الوساطة بينه وبين الجلبان، فصاروا إليه في الدهيشة، وحدثوه في تلبية مطالبهم، لكنه استشاط غضبًا حتى شق ثوبه غيظًا، وتوعد للجلبان فأمر بتنصيب عدة مدافع على أبراج القلعة مُصرًا على قتالهم، حينئذ علم الأمراء بذلك فصعدوا إلى القلعة في انتظار مقابلة السلطان بالدهيشة، لكن السلطان لم يستمع لهم بل أمرهم بالنزول إلى دورهم، وبعد وقت قصير، أمر أحد خاصكيته

(٩١) أبو الخير محمد بن محمد بن محمد المعلم القاضي زين الدين، اشتهر بالنحاس لطبيعة عمله بذات المهنة، أصبح من المقربين للسلطان جقمق، فعهد له بكثير من الوظائف منها نظر الجوالي، ونظر الكسوة ووكالة بيت المال، ونظر البيمارستان، وحسبة القاهرة، عاني من سياسته الجبائية العامة والخاصة، وختمت حياته بالتنكيل به بين النفي والسجن حتى وفاته(٨٦٤هـ/١٤٥٩م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١٢، ص٣٢٢-٣٣٥؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٨٢٨؛ النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٧٥؛ الضوء اللامع، ج٧، ص٦٣؛ رحاب السيد أحمد محمد جناحه، زين الدين أبو الخير النحاس، ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، ع٣٧، مج٣، ٢٠١٧م، ص ١٩٧٨-٢٠٥٠.

بإحضار كثير من المماليك الجلبان المسجونين إلى الدهيشة، ليُصرح بالعفو عنهم، فذهبوا ولم يتحدث أحد منهم بكلمة. (٩٢) وذلك محاولة منه لتهدئة الموقف بعد أدرك الخطر الكبير الذي أحدق به.

أما أبو الخير فاستمرت أعماله الاستفزازية بين الحين والآخر حتى غضب عليه السلطان جقمق، فلجأ لوساطة الخليفة القائم بأمر الله حمزة ليشفع فيه، وقد لبى الخليفة الوساطة وأرسل عنه المعزي عبد العزيز ابن أخيه في(٩شعبان٨٥٦ هـ/٢٤أغسطس١٤٥٢م)، وقد شهدت الدهيشة على ذلك، فبينما يرحب السلطان بضيفه الذي جاء شفيعًا، ينقضّ أبو الخير على قدم السلطان ليُقّبلها ليعفو عنه، لكن السلطان غضب من فعلته فوبخه وسبّه، ثم أمر بحبسه بالبرج من قلعة الجبل، ثم عفا عنه إكرامًا لواسطة الخليفة، وتستمر أفعاله السيئة حتى استقر رأي السلطان أخيرًا على القبض عليه ومصادرة أملاكه. (٩٣)

(٩٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤١٠-٤١٤؛ رحاب السيد أحمد، المرجع السابق، ص٢٠١٣-٢٠١٥.

(٩٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٤١.

لم ينته خطر الجلبان بتنفيذ رغباتهم، وائتلاف قلوبهم، بل اشتد اضطرابهم حتى وصل بهم الأمر لتدبير مؤامرة لاغتيال السلطان خشقدم، الذي ما أن علم بخبرها، سعى لكسب ود كثير من المماليك، وعلى رأسهم المماليك الظاهرية، فاستدعي أميرهم قايتباي الظاهري –"السلطان قايتباي فيما بعد(٨٧٢هـ– ٩٠١هـ/١٤٦٨م–١٤٩٦م)"– فصعد القلعة حيث استقبله السلطان بقاعة الدهيشة في (ذي الحجة٨٦٧هـ/سبتمبر١٤٦٣م)، هو وكثير من خشداشيته وأصحابه، فأحسن السلطان استقباله وعانقه واعتذر إليه عن إساءته إليه وأفرج عن خشداشيته الذي أمر بسجنهم في الإسكندرية سابقًا، فأرضي السلطان الظاهرية وأميرهم وآمن جانبهم. ويعلق ابن تغري بردي على وجود الأمير قايتباي ومعه هذا الجمع الهائل من المماليك بسلاحهم داخل قاعة الدهيشة، في حين أن السلطان لم يكن عنده سوي مجموعة قليلة جدًا من المماليك، وكثير من الأمراء بالحوش، فلو أراد قايتباي الوثوب على السلطان وقتله لنجح في ذلك، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا. (٩٤)

(٩٤) المصدر السابق، ج١٦، ص٢٧٩–٢٨٠.

وإمعاناً في كسب تأييد وطاعة الصف الأكبر من المماليك والأمراء، لمواجهة أي خطر يُحدق به من جديد. استدعى السلطان خشقدم في(محرم ٨٦٨هـ/أكتوبر ١٤٦٣م)أمراء الألوف داخل الدهيشة، عاقدًا عليهم المواثيق المغلظة على طاعته، وعدم خيانته وتحلفيهم على ذلك.(٩٥)

ولما كانت المواقف السابقة توضح أن النصيب الأكبر للجلبان والاجتماع والمشورة بأمرهم داخل أروقة الدهيشة، خشية اضطرابهم والوصول إلى أقرب الحلول السلمية، نري غير ذلك في دهيشة السلطان قايتباي، الذي رفض فيها وساطة كثير من الأمراء للعفو عنهم والمصالحة معهم، نظرًا لمحاولاتهم الفاشلة في اغتيال الأمير يشبك الدوادار(٩٦)(ذي الحجة

(٩٥) المصدر السابق ، ج١٦، ص٢٨٢.

(٩٦) يشبك من مهدي الدوادار الكبير، كان أحد الدوادارية الصغار للسلطان خشقدم، ولي عدة مناصب في الدولة المملوكية، منها كاشف الوجه القبلي، ثم أمير عشرة، ثم كاشف أسيوط، ثم كاشف الوجه القبلي، ثم الدوادارية الكبرى بجانب الوزارة والأستادارية وكشوفية الكشاف، قتل في الرها سنة(٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م). ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٢٧، ٤٤٢، ٤٤٨، ٤٥٣، ج٣، ص٦، ٨، ١٨، ٢٢، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ١٧٠؛ محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، المطبعة النموذجية،

٨٧٣هـ/ يونيو١٤٦٩م) حتى يتم تسليم مدبر الحادثة، وبالفعل رضخ الجلبان وكشفوا عن مملوك يدعى بالأفطش تم استدعاؤه وضربه مائة عصاه عقابًا له. (٩٧) وأمام تفاقم خطر الجلبان، شهدت الدهيشة في(ربيع الآخر٩١٩هـ/ يونيو١٥١٣م) على تحليف كثير من الأمراء السلطان قانصوة الغوري على العهود والمواثيق لعدم الغدر بهم، وحلف الأمراء أيضًا للسلطان بعدم خيانته ولا المؤامرة عليه، وانتهى المجلس على هذا الوفاق. (٩٨)

د- الحصن والحماية

اعتُبرتْ قاعة الدهيشة الملاذ الآمن والحصن الذي يحتمي به كل من ولى مدبرًا من خطر يهدد حياته، سواء كان سلطانًا أو أميرًا أو مملوكًا، ومن ذلك نرى فرار السلطان جقمق في (ربيع الآخر٨٤٢هـ/أكتوبر١٤٣٨م) من مطاردة الأمير

القاهرة، ط٢، ١٩٦٢م، ص٢٠٤-٢١١؛ محمد محمد أمين، أوقاف والحياه الاجتماعية في مصر،(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧) دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربيه، ١٩٨٠م، ص١٣٦.

(٩٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٩٤.

(٩٨) المصدر السابق، ج٤، ص٣١٣.

قرقماس الشعباني[٩٩]، الذي انتهز فرصة لعب السلطان الأكرة بالحوش، وحاول القبض عليه وانتظر معاونة الأمراء في ذلك، لكن لم يعاونه أحد، فولى السلطان مسرعًا إلى الدهيشة للاحتماء بها. [١٠٠] وتحصن بها السلطان إينال في(ربيع أول٨٦١هـ/فبراير١٤٥٧م) بعد تعرضه لهجوم الأجلاب عليه، لرفضه مطالبهم وهي: زيادة رواتبهم، وزيادة عطاياهم، وأمام موقف السلطان صاح الجلبان عليه وأشتدوا في رجمهم

(٩٩) الأمير سيف الدين قَرْقَماس بن عبد الله الشعباني الظاهري ثم الناصري، يرجع أصله من كتابية السلطان برقوق، ثم ملكه السلطان فرج وأعتقه، ثم صار من الدوادارية الصغار في سلطنة المؤيد شيخ، ثم أمير عشره بعد وفاة السلطان المؤيد، ثم ولي الدوادارية الثانية، ثم أمير طبلخاناة، ثم تقدمة ألف في عصر السلطان المؤيد أحمد، ثم ولي حجوبية الحجاب، ثم نيابة حلب في عصر السلطان برسباي ثم عزل عنها، واستقر أمير سلاح، ثم أتابكا للعسكر، واستمر اضطرابه في عصر السلطان جقمق، فكانت نهايته بالسجن والقتل في (ربيع الآخر٨٤٢هـ/أكتوبر١٤٣٨م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٩، ص٥٧-٦٣؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٥٤١؛ النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٨١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص١٢٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢١٩.

(١٠٠) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٠١.

ففر مُسرعًا، هو وأمرائه حتى وصل إلى الدهيشة محتميًا بها ولم تهدأ ثائرة الأجلاب حتى أتم السلطان استيفاء مطالبهم.(١٠١) وتحصن بها أيضًا الزيني الأستادار(١٠٢)الذي بلغه –حين جلوسه بالدهيشة– في(رمضان٨٥٢هـ/نوفمبر١٤٤٨م)، باتفاق جماعة من المماليك الجلبان عليه لقتله ونهب ممتلكاته، فاحتمى بها وأرسل من يثق به ليجمع أكبر قدر من الأموال يرسلها إليه، ويغلق سائر دوره.(١٠٣) وكانت الملاذ المنجي

(١٠١)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٠٠-١٠٢؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج٢، ص٣٣٧.

(١٠٢) الأمير زين الدين يحيى بن عبد الرازق الأستادار، المعروف بالأشقر، ولد بمصر سنة (٧٩١هـ /١٣٨٩م)، باشر العمل في مناصب كثيرة منها نظر الإسطبل السلطاني، ونظر ديوان المفرد، ثم الإستادارية فكان ذا شأن عظيم حتى نهاية عصر السلطان جقمق، لكنه تعرض للمصادرة والتنكيل في عصر ابنه المنصور عثمان واستمرت تلك الحالة حتى عصر السلطان قايتباي الذي زُج به في سجن القلعة حتى وفاته سنة(٨٧٤هـ/١٤٦٩م). الصيرفي، إنباء الهصر بأبناء العصر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠٠٢م، ص١٧٢-١٧٥.

(١٠٣) السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،٢٠٠٢م ، ج٢، ص٩٥.

لمماليك الأمير سيف الدين جانبك[١٠٤] الكبير، بعد تعرضه لحادث اغتيال على يد المماليك الأجلاب فور اجتيازه باب القلة أحد أبواب القلعة، فهجم عليه الأجلاب وقتلوه سنة(٨٦٧هـ/١٤٦٣م)، فتفرق عنه أتباعه وهربوا منهم إلى الحوش السلطاني ومنهم إلى الدهيشة. [١٠٥]

هـ-مجالس الشورى للقضاء على الاضطرابات

حظيَ تاريخ مصر المملوكية بكثير من الصراعات بين السلطنة وأمرائها الراغبين بين الحين والآخر في التمرد عليها، تجاه ذلك سعت السلطنة بكل طاقتها للتصدي لتلك التمردات وعقد مجالس للمشورة لمناقشة كيفية القضاء عليها، شهدت الدهيشة على بعضها، ومن ذلك: استدعى السلطان خشقدم

(١٠٤) الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله الظاهري، من مماليك الظاهر جقمق، اعتقه وجعله من خاصكيته، ثم ولاه إمرة بندر جدة، ثم الأستادرية في عصر المنصور عثمان، ثم عزل عنها في عصر السلطان إينال، وقتل سنة(٨٦٧هـ/١٤٦٣م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٢٤٣-٢٤٨؛ النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٢٠-٣٢١؛ الدليل الشافي، ج١، ص٢٣٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٥٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٠٧.

(١٠٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٢٠.

أمرائه إلى الدهيشة في (محرم٨٧٢هـ/أغسطس١٤٦٧م)، للنظر في أمر المارق شاه سوار الذي شدد هجماته على كثير من أملاك السلطنة للاستيلاء عليها، فاستقر الرأي على إرسال تجريدة عسكرية لإخضاعه، واختص كل أمير بمهمة معينة عهد له بها السلطان. (١٠٦) لكن فشلت التجريدة في اخضاعه، واستمر تمرده في عصر السلطان قايتباي وزاد من الأمر سوءًا، عدم توافر المال اللازم لتجهيز تجريدة للقضاء عليه، حينئذ دخل السلطان قاعة الدهيشة وهو في حالة يُرثى لها، وزاد الطين بلة، إذ جاءته في (ذي القعدة٨٧٢هـ/ يونيو١٤٦٨م) أخبار هروب السلطان المخلوع تمربُغا(٨٧٢هـ /١٤٦٢م) من دمياط متوجها إلى حلب فعهد السلطان إلى الأمير يشبك الدوادار للإلحاق به في غزه قبل وصوله إلى حلب والقبض عليه وإعادته للسلطان، في حين أغفل الأخير أمر سوار. (١٠٧)

ولتمرد عربان الشرقية والغربية والصعيد، وسيطرتهم على كثير من الأراضي التابعة للسلطنة، استدعى السلطان قانصوه

(١٠٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٥١.

(١٠٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٥.

الغوري في (ذي القعدة٩٠٨ هـ/مايو ١٥٠٣م) أمرائه في الدهيشة، واتفقوا على خروج مجموعة من الأمراء بصحبة كثير من العسكر إلى هذه الجهات للقضاء على هذا التمرد.[١٠٨] وفيها أيضًا لبى الأمراء دعوة السلطان قانصوة الغوري، لعقد مجلس للمشورة بشأن استيلاء الفرنج بعض المدن اليمنية مثل مدينة كمران، وحصارهم مدينة سواكن في(ربيع الأول ٩١٩هـ/مايو١٥١٣م)، وتم الاتفاق على إرسال أربع تجاريد إلى جهات مختلفة لحماية البلاد من هجمات الفرنج.[١٠٩]وقد شهدت الدهيشة على إجماع الإمراء للشفاعة لدى السلطان قانصوة الغوري، في أمر الأستادار شرف الدين النابلسي[١١٠]، الذي قضى مدة طويلة في سجنه عانى منه كثيرًا، فقبل

(١٠٨) المصدر السابق، ج٤، ص٥١.

(١٠٩)المصدر السابق، ج٤، ص٣٠٧-٣٠٨.

(١١٠) شرف الدين يونس النابلسي، ولي ناظر ديوان المفرد ثم الأستادارية الكبرى ثم عزل عنها وسجن، ثم أفرج عنه، ثم ولي كاتب ومستوفي جيش الشام واستادار العالية، وصاحب الديوان المفرد، ومات غرقًا في (صفر٩٢٥هـ/ فبراير١٥١٩م). ابن إياس، المصدر السابق ، ج٤، ص٣٥، ٨٢، ١٠١، ١٤٢، ١٤٦، ٢٠٢، ٢٨٢، ٤٠١، ٤٤٢، ٤٨٢، ج٥، ص١٧، ٤٠، ١٦١، ٢١٠، ٢٩١.

السلطان شفاعتهم وأفرج عنه في(ذي القعدة٩١٤هـ/مارس١٥٠٩م).[١١١]

وقد ظهرت الدهيشة في الرؤى والأحلام لتعبر بلسان كثير ممن عسف الظلم بوجوههم، وغلف الحقد قلوبهم بأفعالهم الغير مقبوله، فصمت الجميع لرفعة منصبه، لكن فضحته الدهيشة بأفعاله، فهذا السلطان برسباي يحكي ما رآه في نومه أن: الأمير آقبغا الجمالي[١١٢] راكبًا على فيل ودخل به إلى الدهيشة وقد هرب الحاضرون منه، فوقر هذا المنام في نفس السلطان

(١١١)المصدر السابق، ج٤، ص١٤٦.

(١١٢) الأمير علاء الدين آقبغا بن عبد الله الجمالي الأستادار، ينسب إلى أستاذه كمشبغا الجمالي الظاهري، كان مسؤولًا عن إدارة إقطاع أستاذه، ثم ولي كشف الوجه القبلي، ثم الأستادارية، ثم ولي أمير عشرة، ثم كاشفًا للوجه البحري في عصر السلطان برسباي، قتل في إحدى المعارك مع العربان في(٢١ربيع الآخر٨٣٧هـ/٤ديسمبر١٤٣٣م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٤٨٥-٤٨٦؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٣٩؛ النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣٧؛ ج١٥، ص١٨٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٥٢٢؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٣٩٣؛ أحمد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطلة زمن السلاطين المماليك: دراسة عن الرشوة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص٥٩؛ مديحة شرقاوي، برسباي وسياسته الداخلية والخارجية، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٧م، ص٧١.

حتى تصادف يومًا أن تطوال على السلطان في طلبه أعطيات من خزانته، فرسم بضربه ثم سجنه سنة(٨٣٣هـ/١٤٣٠م) بعد أن ضاق به ذرعًا كثير من كبار رجال الدولة وأعيانها.(١١٣)

رغم مصداقية الرؤية السابقة واقعيًا، لكن هناك بعض الرؤي تُصادف هوى من ارتبطت به رغم احتمالية خطأ تفسيرها، فكانت الدهيشة شاهد عيان على عرض الشيخ شهاب الدين المحلي(١١٤) منامه على قانصوه الغوري قبل ولايته السلطنة، حيث ذكر أنه جاءت جماعة من التركمان مرتدين الحديد في

(١١٣) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص١٩٨-١٩٩.

(١١٤) أحمد بن الحسن علي بن نور الدين المحلي الشافعي الشهير بابن زنبل الرمال، اشتهر في نهاية عصر الدولة المملوكية بضرب الرمل والكشف عن الحظ في كل موقعة، فكان شاهد عيان على كثير من الأحداث، وهو صاحب المؤلف المشهور "واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني نهاية المماليك بين التاريخ والحكي الشعبي"، (توفي بعد٩٦٠هـ/١٥٥٣م). ابن زنبل، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، الهيئة العامة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص٧٢-٧٣؛ منية بروانة، تضارب رواية سقوط المماليك بين ابن إياس وابن زنبل الرمال، بحوث المؤتمرات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ٢٠١٦م، ص٣٨٤.

أغلب ثيابهم، قاصدين سلطان مصر، ثم جاء النبي محمد صلي الله عليه وسلم ومعه سيدنا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، وقال أن ضامن سلطان مصر ارجعوا، فعلق السلطان على هذا المنام أن الحديد هو رمز القوة وأنه سوف يقود دولة كبيرة عظيمة. (١١٥)

وقد وجدت العلاقات الدبلوماسية سبيلًا لها في هذه القاعة التي لبى فيها الأمراء دعوة السلطان فرج بن برقوق في(جمادى الأولى٨٠٥هـ/ديسمبر١٤٠٢م)لحضور مجلس المشورة، لعرض أحد المراسلات بينه وبين تيمورلنك، تتضمن اعتذار الأخير عما سلف، ثم طلبه من السلطان أن يطلق سراح رجل من قرابته يدعى أطلمش أُسر في سلطنة الظاهر برقوق لمدة عشرين عامًا، فأشار الأمراء بإطلاق سراحه ووافق السلطان. (١١٦)

و-بوابو الدهيشة ودورهم في الشأن السياسي

(١١٥)عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري صفحات من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠١٠م، ص١٢٣.

(١١٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٦٦٥.

لبلوغ الدهيشة منزلة كبيرة لدى بعض السلاطين، فحرصوا على حراستها وتأمينها، ومن أجل ذلك عهدوا إلى بوابين (حراس) لها، فصار لبعضهم منزلة لدي السلاطين، واستغل البعض هذه المنزلة، فصاروا وسطاء لهم، فهذا محمد بن العظمة(١١٧)، طلب وساطة عبد القادر بواب الدهيشة لدى السلطان الناصر محمد بن قايتباي(٩٠١-٩٠٢هـ/١٤٩٦-١٤٩٧م)لعودته إلى نظر الأوقاف، ونجحت تلك الوساطة رغم بُغض كثير من الناس له فضجوا بالدعاء على عبد القادر لوساطته. (١١٨) فلم يلبث أن توفي في

(١١٧) محمد بن العظمة، ولي نظر الأوقاف للسلطان قايتباي، فأساء استخدام سلطته في جمع مزيد من الأموال، فعزله السلطان في سنة(٨٨٩هـ/١٤٨٤م)، لكنه عاد إليها مرة ثانية في عصر السلطان الناصر محمد بن قايتباي بعد نجاح وساطة عبد القادر بواب الدهيشة. الصيرفي، نزهة النفوس، ج٧، ص٣١٠، ٣٨٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٩٢

(١١٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٨٢، ٤٤٦.

(شعبان٩٠٣هـ/إبريل١٤٩٨م) وحزن عليه السلطان حزناً شديدًا. (١١٩)

واستخدم بعض السلاطين البوابين (الحرّاس) كوسطاء لتنفيذ مطالبهم لثقتهم فيهم، فقد أرسل السلطان الغوري حسام الدين الألواحي بوّاب الدهيشة في (ربيع الآخر٩٢٢هـ/مايو١٥١٦م) بألف دينار كنفقة تُسلم إلى الخليفة محمد المتوكل على الله الثالث آخر الخلفاء العباسيين(ت٩٤٥هـ/ ١٥٣٩م) تُعينه في سفره إلى بلاد الشام ليكون في استقباله عندما يأتي لاحقًا. (١٢٠) ولشدة قربهم من السلاطين، رغبوا في المغالاة بتكريمهم بوظائف لم يكونوا أهلًا لها، فقد خلع السلطان الغوري على جمال الدين الألواحي بواب الدهيشة بوظيفة معلم المعلمين في (جمادى الأولى٩٢٢هـ/يونيو١٥١٦م) مما دعا إلى استناكر مؤرخ العصر ابن إياس على ذلك بأن: "الوظائف أصبحت تسند إلى غير أهلها". (١٢١) ورغم تلك المكانة التي تبوأها في عصر السلطان الغوري، نري غير ذلك في عصر السلطان

(١١٩) المصدر السابق، ج٣، ص٣٨٩؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص٣٢٦.

(١٢٠) ابن إياس، المصدر السابق ، ج٥، ص٣٣.

(١٢١) المصدر السابق ، ج٥، ص٥١-٥٢.

طومان باي الذي أمر بالقبض عليه وسجنه، لاتهامه بسرقة خزائن السلطان ومعه محمد المهتار(١٢٢) باعتبارهما المسؤولين عن أمر الخزائن الشريفة بتكليف من السلطان الغوري. (١٢٣) واشتد السلطان في التضيق عليهما لرد هذه الأموال. (١٢٤) وليست هذه المرة الأولى الذي يرتكب فيها بوابون الدهيشة هذه الجريمة، بل سبق أن ارتكبها مجموعة من البوابين الألواحية بالدهيشة سابقًا في عصر السلطان قايتباي في (ذي القعدة٨٨٠هـ /مارس١٤٧٦م) حيث قاموا بسرقة خزانة السلطان، فقبض عليهم وضربهم حتى أقروا وأحضروا المال، ورسم بسجن بعضهم. (١٢٥)

(١٢٢) محمد النجولي مهتار الطشتخاناه للسلطان قانصوه الغوري، سُعي به إليه فمنع من الصعود إلى القلعة، ثم عفا عنه وولاه متكلمًا عن حواصل الذخيرة، ثم قبض عليه بتهمة سرقة الخزائن السلطانية في (رمضان ٩٢٢هـ/أكتوبر١٥١٦م). المصدر السابق، ج٤، ص١٨٢، ١٩٥، ٢٥٠، ٢٥١، ٤٤٢، ٤٤٣، ج٥، ص١٠٨، ١٢١، ١٨٨، ٢٣١.

(١٢٣) المصدر السابق ، ج٥، ص١٠٨.

(١٢٤) المصدر السابق ، ج٥، ص١٢١.

(١٢٥) السخاوي، الذيل على دول الإسلام، ج٢، ص٢٨٥؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج٣، ص١١٥.

قاعة الدهيشة شاهد عيان على الشأن الحضاري

نقلت الطبيعة الحربية لقلعة الجبل في مصر المملوكية، باعتبارها مقرًا للحكم، صورة عامة للباحثين تشير إلى أنها شهدت الواقع السياسيّ لعصرِها فقط، لكن النظرة البحثية المتفحصة أوصلتنا إلى حقيقة مفادها: أن القلعة، بما احتوته من قاعات، كانت معبرة عن الواقع الاجتماعي المعيش، والممارس خارج أسوارها، فقد شهدت الدهيشة على كثير من المناشط الحضارية، ومنها:

أ-مجالس الشورى الدينية

يأتي على رأس الحياة الدينية، الفقهاء ومنهم القضاة: فهم المسؤولون عن إدارة الشؤون الدينية وما يتصل بها، وبعض الشؤون المدنية الخاصة بإدارة الدولة، ولمكانتهم الروحية كانوا محل ثقة وتقدير من جانب السلطة، التي دائما تحرص على مجالستهم، فكان لقاءهم بمثابة ملتقى علمي، يدلي فيه كُلٌ منهم برأيه وفق مذهبه، فقد شهدت الدهيشة على مثل هذه المجالس الدينية، التي حظى السلطان الغوري فيها بنصيب أكبر للاجتماع بفقهاء وقضاة عصره فيها، لطرح عديد من التساؤلات حول بعض القضايا الدينية ومنها منصب الخليفة

كرمز ديني،[١٢٦]وأولوية الإمامة للخليفة أم السلطان.[١٢٧] والتطرق أيضًا لآيات القرآن الكريم وفِهم معانيها. [١٢٨]وقد تتوج هذه المجالس بالدهيشة بقراءة القرآن الكريم، الذي تَصدّر فيها المماليك الصغار بأصواتهم العذبة لإمتاع السلطان بتلاوتهم،[١٢٩]ولا نغفل كبار القُراء المرابطين بالدهيشة الذين صاروا أحد أعمدتها ومنتسبيها كالشمس البحيري[١٣٠]وابن سعيدة[١٣١]وابن العطار.[١٣٢]

(١٢٦) عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري، ص١٤٧-١٥٠

(١٢٧) المرجع السابق، ص١٣٩.

(١٢٨) المرجع السابق ، ص١٦٩.

(١٢٩) المرجع السابق ، ص١٤٥.

(١٣٠) محمد شمس الدين البُحيري، أحد قراء الدهيشة، توفي في (ربيع الثاني٨٩٥هـ/ فبراير١٤٩٠م) بعد ضربه وسجنه على أثر الحادثة السابقة. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص١١٠.

(١٣١) ابن سعيدة، هو عبد القادر بن محمد بن عبد الله بن الشيخ بدر القويسني، ولد سنة (٨٣٦هـ /١٤٣٣م)، حفظ القرآن الكريم، فكان أحد قراء القصر السلطاني والدهيشة والمولد. المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٠.

(١٣٢) علي بن رمضان بن حسن بن العطار، من شيوخ القراء بالدهيشة، عرف برجاحة عقله، وبراعته في قراءة القرآن الكريم، توفي(٨٩٦هـ/١٤٩١م). المصدر السابق، ج٥، ص٢٢١.

وفي الدهيشة كانت تُعرض كثير من القضايا على السلطان، يُوجب فيها تحكيم الشرع، فكان تواجد القضاة والفقهاء أمرًا ضروريًا، ومن ذلك: عرضت قضية على السلطان جقمق بالدهيشة في(جمادى الآخرة ٨٥١هـ/أغسطس١٤٤٧م)، فيها أن النصارى أحدثوا تجديدًا كاملًا لأعمدة كنيستهم بقصر الشمع، فكان رأي القاضي حينئذ جلال الدين البكري[١٣٣] بوجوب هدمها لأن النصارى عٌهدوا على عدم الإحداث والترميم، فأصدر السلطان أمرًا بالهدم. [١٣٤] وفي أمر خطيب

(١٣٣) أبو البقاء محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي، المعروف بالجلال البكري، ولد ونشأ بدهروط "إحدى القرى التابعة لمركز مغاغة بمحافظة المنيا"، ثم انتقل إلى القاهرة، برع في الأصول والحديث والفقه خاصة الفقه الشافعي، ولي قضاء الإسكندرية سنة(٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م)، ثم عزل عنها، فرجع إلى القاهرة حتى توفي بها سنة(٨٩١هـ/١٤٨٦م). حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني)، (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، ٢٠١٠م، ج٣، ص١٦٨-١٦٩؛ الشوكاني(محمد بن على بن محمد بن عبد الله)، (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ج٢، ص١٨٢-١٨٣.

(١٣٤) السخاوي، التبر المسبوك، ج٢، ص٢٦.

من خطباء المساجد يدعى عمر بن علاي الدين النقيب الحنفي المحلي أفحش القول في سيدنا إبراهيم عليه السلام، فدعا السلطان الغوري لعقد مجلس شوري الفقهاء والقضاة في(جمادى الأولى ٩١٣هـ/سبتمبر١٥٠٧م) بالدهيشة وكان رأي السلطان بوجوب قتله، بينما اختلف القضاة بين قبول توبته إذا استغفر الله على فعله، وبين جواز قتله، لكن حسم الأمر في النهاية بسجنه. (١٣٥)

وقد يتضح الأمر بعد شكوك أُثيرت لدي السلطان في حق قضاته ونوابهم، بعد الاجتماع بقاضي القضاة بالدهيشة فتتغير تلك الوجهة، فقد عبر السلطان الغوري عن استيائه من القضاة لتخصيص مبالغ مالية منحوها لنوابهم لإعانتهم على السفر لبلاد الشام امتثالًا لأمر السلطان، وتشكك السلطان في تقاضي القضاة أنفسهم من تلك المبالغ، ولما صرح السلطان بذلك لقاضي قضاة الشافعية كمال الطويل(١٣٦) بالدهيشة في (ربيع

(١٣٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١٢٠.

(١٣٦) محمد بن على بن محمد بن بهادر الكمال، يعرف بالطويل، حفظ القرآن الكريم، ونبغ في علوم الفقه والحديث والتفسير، ناب في القضاء، وولي مشيخية البيبرسية، ثم ولي قاضيًا لقضاة الشافعية، توفي

آخر ٩٢٢هـ /مايو ١٥١٦م)، حلف للسلطان بأنه لم يتقاضي أي من هذه الأموال، وأن سبب المنح لهؤلاء النواب، أنهم طلبوا اعانتهم من النواب الذين لم يسافروا لعجزهم عن تجهيز احتياجاتهم، لذا تم دفع هذه الأموال لهم، فلما سمع السلطان ذلك أصدر أمرًا بحرية من يسافر من النواب، وعدم إكراههم على السفر، فتم إبطال هذه العادة. (١٣٧)

اتضحت، من خلال المواقف السابقة، أن احترام السلطة للقُضَاة والأخذ بمشورتهم في كثير القضايا التي تُعرض عليها كانت قائمةً، وخاصة إذا كان الأمر متعلقًا بتحكيم الشرع، أو متعلقًا بشأنهم القضائي؛ حتى لا تكون هناك شائبة بينهما، فهم الملاذ الآمن الذي يسترشد به السلطان في ظلمات قد تواجهه؛ لذا وجب على السلطان أن يتحرى الدقة في اختيارهم، لكن في بعض الأحيان نرى أن هذا الاختيار لم يكن على هوى البعض، فقد شهدت الدهيشة على ورقة دُست على فراش

سنة(٩٣٦هـ/١٥٣٠م). السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص١٥؛ الغزي، الكواكب السائرة، ج٢، ص٤٥.

(١٣٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٣٤.

السلطان المؤيد شيخ المحمودي، فيها أبيات[١٣٨] تقدح في القاضيَيْن الهروي[١٣٩] والبلقيني[١٤٠]الذي تولى خطة القضاء

(١٣٨) أورد ابن إياس هذه الأبيات ومنها: يا أيها الملك المؤيّد دعوة من مخلص في حبّه لك ينصح/ انظر لحال الشافعية نظرة فالقاضيان كلاهما لا يصلح/ هذا أقاربه عقارب وابنه وأخ وصهر فعلهم مستقبح. بدائع الزهور، ج٢، ص٤٥.

(١٣٩) شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد الرازي الهروي، ولد بهراة "إحدى محافظات أفغانستان" سنة(٧٦٧هـ/١٣٦٦م)، نبغ في علوم الفقه والحديث والبيان والأدب والتاريخ، ولي تدريس الصلاحية ببيت المقدس، وقاضيًا للقضاة بمصر غير مرة، وكتابة السر، توفي سنة(٨٢٩هـ/١٤٢٦م). المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٤٤؛ ابن قاضي شهبة(أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر)، (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٧)، طبقات الشافعية، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج١، ص١٩٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص١٥١.

(١٤٠) جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير البلقيني، ولد في القاهرة سنة (٧٦٢هـ /١٣٦١م) وقيل (٧٦٣هـ/١٣٦٢م)، تلقى العلم منذ صغره على يد والده وكثير من الفقهاء، طالت مدة ولايته للقضاء بين العزل والإقرار بين(٨٠٤-٨٢٢هـ/١٤٠٢-١٤١٩م)، وأخيرًا استقر قاضيًا للقضاه حتى وفاته في (شوال ٨٢٤هـ/أكتوبر١٤٢١م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٢٥-١٢٦؛ المنهل الصافي، ج٧، ص١٩٧-

بعد عزل الهروي(١٧ربيع الأول٨٢٢هـ/٢١ إبريل١٤١٩م).[١٤١] فلم يعبأ السلطان بتعليق البعض على ذلك الاختيار، المهم أن رغبته تتحقق فيمن يتولى، مثلما تحققت أيضًا رغبة السلطان جقمق أثناء اجتماعه بالقضاة الأربعة بالدهيشة في(٢٩ذو الحجة٨٥٥هـ/٢١يناير١٤٥٢م) التي عُرض فيها النظر في أمر قضاة دمشق الباعوني[١٤٢]

٢٠٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٥٢٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص١٠٦.

(١٤١) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٤٩٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٥.

(١٤٢) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني، ولد سنة(٨٠٥هـ/ ١٤٠٣م) ثم انتقل في الرابعة من عمرة إلى صالحية دمشق، حفظ القرآن الكريم، وبرع في الفقه والحديث والنحو، تنقل في القضاء بين طرابلس الشام وحلب ثم دمشق التي أقام بها مدة طويلة بين العزل والإقرار، وتوفي سنة(٨٨٠هـ/١٤٧٦م). السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٩٨؛ ابن طولون الصالحي (أبي عبد الله شمس الدين محمّد بن علي)، (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة، تح: محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٩٨٠م ص٤٨٨-٤٨٩؛ الباباني البغدادي(إسماعيل بن محمد أمين)، (ت ١٣٩٩هـ /١٩٧٩ م)، هدية

والحمصي[١٤٣]، فكان الاجماع بعزل الحمصي، وإعادة الباعوني لقضاء دمشق، وهو ما صادف هوى السلطان. [١٤٤]

ب-المجالس العلمية

شغف السلاطين المماليك بعقد المجالس الأدبية التي عُرضت فيها فروع شتى من العلوم مثل: علم التاريخ، واللغة، والتفسير، والأدب. فقد شهدت الكتابة التاريخية أقوى فتراتها في ذلك العصر، حيث عاش العديد من المؤرخين أمثال المقريزي، وابن تغري بردي، وابن إياس. سطروا بأيديهم أحداث تلك الأمة، وغيرها من الأمم السابقة التي أصبحت مجالًا للحديث في كثير من مجالس السلاطين المماليك، فكانت الدهيشة شاهد عيان عليها خاصة مجالس الغوري التي عقد

العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف الجليلة، استانبول، ١٩٥١م، ج٢، ص٥٦٢.

(١٤٣) أبو حفص سراج الدين عمر بن موسى بن الحسن بن محمد ابن عيسى القرشي المخزومي الحمصي، ولد بدمشق سنة(٧٨١هـ/ ١٣٧٩م)، وولي قضائها وتوفي سنة (٨٦١هـ/١٤٥٧م). الباباني، هدية العارفين، ج١، ص ٧٩٣.

(١٤٤) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٤٣.

كثير منها داخل تلك القاعة ففيها الحديث عن: الإسكندر الأكبر(ت٣٢٣ق.م) وداريوس الثالث (٣٣٠ق.م)،[١٤٥] والإسكندر وخاقان الصين، والفيلاسوف أبو نصر محمد الفارابي (٢٦٠-٣٣٩هـ/٨٧٤-٩٥٠م)، وسيف الدولة الحمداني(٣٠٣-٣٥٦هـ/٩١٥- ٩٦٧م)،[١٤٦] والنبي يوسف عليه السلام وأخوته.[١٤٧]

وشملت اللغة العربية اهتمام الغوري أيضًا، خاصة أنها دخلت عليها مفردات من التركية، فقد شهدت الدهيشة مجلس للغوري يتم فيه طرح العديد من القضايا عن علم اللغة، وعلم التفسير.[١٤٨] ولا ننسى النكت الأدبية والألغاز والحِكم التي شقت لنفسها سبيلًا للتفريج عن النفس داخل الدهيشة.[١٤٩]

ج-مجالس اللهو والاستجمام

ارتبطت مجالس السلاطين بمظاهر ترفيهية ساهمت الجواري فيها بنصيب أكبر، فالجلوس بين يدي السلطان ومنادمته أثناء

(١٤٥) عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري، ص١٥١.

(١٤٦) المرجع السابق، ص١٦١-١٦٣.

(١٤٧) المرجع السابق ، ص١٦٧.

(١٤٨) المرجع السابق ، ص١٥٤-١٥٦.

(١٤٩) المرجع السابق ، ص١٥٢.

عزف الموسيقى على أوتار الأغاني خير دعة لبعض السلاطين الذين ألفوا تلك المجالس في قاعة الدهيشة، فقد اعتاد السلطان الصالح إسماعيل على الجلوس فيها بعد الانتهاء من عمارتها، وبين يديه جواريه وخدمُه وحُرَمُه، مغدقًا عليهم كثير من العطايا والخِلَع.(١٥٠)

لكن كان للإكثار من الجلوس في الدهيشة بصحبة الجواري، لدرجة الشغف والانغماس الدائم، عاقبة تنذر بانتشار المجون، وهو ما حذر منه كبار الأمراء السلطان حاجي الذي أفرد وقتًا طويلًا للدهيشة مستمتعًا بالجلوس فيها بين يدي جواريه وخاصة إتفَّاق العوادة(١٥١)، وسَلْمى، والكَرَكِيّة(١٥٢)، وانقطاعه

(١٥٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٨٩-٩٠؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤٠٥.

(١٥١) اتِّفَاق العوادة، جارية بارعة الصوت، برعت في ضرب العود والعزف على أوتاره بصوتها العزب، فخطفت قلوب بعض سلاطين المماليك كالناصر محمد بن قلاوون، وابنه الصالح إسماعيل التي أنجبت منه، وأخوه الكامل الذي شغف بها وأنجبت منه أيضًا، وقربها المظفر حاجي إلى مجالسه، بينما أبعدها الناصر حسن، وقطع راتبها وتزوجت من الوزير موفق الدّين هبة الله بن السعيد إبراهيم. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٩١-٩٢.

(١٥٢) لم نعثر على ترجمة لهن في أي من المصادر.

باللهو معهن بالدهيشة وإنفاقه عليهن مزيدًا من الأموال والعطايا عليهن وكثير من الجواري، مما أدى لإعراضه عن تدبير شؤون الدولة، فوعظه كبار الأمراء من عاقبة ذلك، فأقلع عن اللهو مع جواريه رغم أن نفسه كانت تتوق دائما وأبدًا إليهن، فرغب أن يملأ فراغه بتلك القاعة الملازمة لهوايته،(١٥٣)واستبدل مجالسته بالجواري بتربيته للحمام، فأنشأ من أجل ذلك حَضيرًا على الدهيشة تم تركيبه على صواري وأخشاب ذات ارتفاعات شديدة، وملأه بأنواع مختلفة من الحمام حتى بلغ حجم الإنفاق على الحضير سبعة آلاف درهم وقيل سبعين الف درهم. (١٥٤)ولكن ذلك لم يملأ فراغه ولم يشبع رغباته، فأحضر إلى الدهيشة أرذال الناس من الأوباش وجواريهم، فغضب الأمراء من ذلك وتحدثوا بشأن فساد أمر السلطان، حتى علم بذلك فغضب واشتد غيظه الذي لم يجد سوى الحمام الذي رباه أعلى الدهيشة لينفث فيه غضبه فأعمل الذبح فيه، وأقسم على ذبح أمرائه كما ذبح الحمام، فأغلق باب

(١٥٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ص٤٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٥٦–١٥٨

(١٥٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٥٦؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٤٤–٤٥، المقفى الكبير، ج٣، ص٧٤.

الدهيشة، وانصرف شديد الغضب حتى نفذ ما وعد به فقتل ملكتمر الحجازي وآق سنقر وغيرهم من الأمراء يوم(الأحد١٩ربيع الآخر٧٤٧هـ/٨أغسطس١٣٤٦م).(١٥٥)

ورغم تلك المواقف المضطربة التي شهدت مقتل كثير من الأمراء لاحتجاجهم على أفعال السلطان الفاسدة ، لكننا نري أن السلطان يستغل فترة خروج كبار الأمراء إلى رحلة صيد، خاصة وأن السلطان قد رسم لهم بعدم الرجوع حتى العشر الأخير من شهر (رمضان٧٤٧هـ/يناير١٣٤٧م)، وبالتالي يكون الجو قد خلا للسلطان ليفعل ما شاء دون أن يري تعليقًا على لهوه وفساده من كبار الأمراء، فبدأ بإعادة حضير الحمام أعلى الدهيشة بعد أن ذبح أكثره، وأعاد حلبات السباق المختلفة وعلى رأسها سباق حمام حضير الدهيشة، فكان السلطان يقف ويراهن على الطير والطيرة، وقد صادف يومًا أنه اشترك في سباق عند حضير الحمام، وحينئذ أُذّن لصلاة العصر، فهربت الطير مُسرعة وارتدت عن مقصدها، فغضب وأمر المؤذنين بعدم رفع أصواتهم عند رؤيتهم الحمام، ولم يقتصر الأمر على

(١٥٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ص٤٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٥٦-١٥٨؛ المقفى الكبير، ج٣، ص٧٤.

سباق الحمام بحضير الدهيشة، بل شهدت الدهيشة لعب السلطان طوال النهار مع الأوباش والغلمان والعبيد الرمح والكرة، وكلها أفعال لا تليق بمنصب السلطان لكنه يُجاهر بها في تلك القاعة. (١٥٦)

يبدو أن تلك المهلة المحددة للعودة من رحلة صيد الأمراء من قِبل السلطان، اخترقها هؤلاء وعادوا الواحد تل والآخر في آخر شهر(شعبان٧٤٧هـ/ديسمبر ١٣٤٦م)، ليشاهدوا ما فعله السلطان من تجاوزات سافرة، نَبَهَهُ إليها الأميران أُلْجيبُغَا(١٥٧) وطَنْيَرق(١٥٨) وخوفاه من عاقبة ذلك، فاستجاب إليهما بغضب

(١٥٦) المقريزي، السلوك، ج٤، ص٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٦٨-١٦٩.

(١٥٧) الأمير سيف الدين ألجبغا بن عبد الله المظفري، قربه السلطان المظفر حاجي حتى صار من خاصته، واستمر على تلك المنزلة في عصر السلطان الناصر حسن، ولي نيابة طرابلس، ثم قبض عليه وسجن بقلعة دمشق ثم قتل سنة(٧٥٠هـ/١٣٤٩م). الصفدي، الوافي، ج٩، ص٣٥٥؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٤٤-٤٥؛ النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٤٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٣٤.

(١٥٨) الأمير سيف الدين طان يرق أو طَنْيَرق أو طَينْرق أو طيزق، من خاصة السلطان المظفر حاجي، والمقربين أيضًا للسلطان حسن، ولاه نيابة حماه الذي استمر عليها بين الإقرار والعزل، حتى استقر أخيرًا أميرًا

فأمر بخراب حضير حمام الدهيشة للمرة الثانية، وأحضر الحمام وذبحه بيده، ثم قال لهما والله لأذبحنكم كُلكم كما ذبحت هذا الحمام، وانصرف غاضبًا[١٥٩]، لكن قسمه لم يُبَر، فقتله أمرائه يوم

بطرابلس سنة(٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م). الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م، ج٢، ص٥٧٢-٥٧٥؛ الذهبي(شمس الدين محمد بن عثمان)، (ت٧٤٨هـ /١٣٤٧م)، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج٤، ص١٩١؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٤٦، ٥٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٩٣، ٢٢٠؛ عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٤٥.

(١٥٩) المقريزي، السلوك، ج٤، ص٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٧٠؛ حياة ناصر الحجي، أحوال العامة في حكم المماليك(٨٧٦-٤٨٧هـ/٩٧٢١-٢٨٣١م): دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص٣٩؛ وليد فكري، دم المماليك النهايات الدامية لسلاطين المماليك، الرواق للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م، ص١٢٦.

(الأحد١٢رمضان٧٤٨هـ/١٥ديسمبر١٣٤٧م).[١٦٠]وقد تزين بعض المجالس في الدهيشة بتقديم السلطان للأسمطة، ودعوة كثير من الأمراء إليها، ومن ذلك: اعتاد الغوري على دعوة كثير من أمرائه للسماط بالدهيشة الحافل بمختلف وأشهى الأطعمة. [١٦١]

رغم ذلك الاعتياد المصاحب لتواجد الجواري وكثير من الأمراء لتلبية دعوة السلاطين، لكنها كانت ملجًا لهم- منفردين- للخلود والسكينة من صخب ممارسات شؤون الدولة، وتمردات المماليك التي لا تنتهي: فقصدها السلطان جقمق في(١٣شعبان ٨٥٥هـ /٩ سبتمبر ١٤٥١م) للترويح عن نفسه، بعد أن ضاق ذرعًا من تذمر المماليك السلطانية على المبلغ الذي يصرف إليهم كل عام تحت مسمى دراهم الكسوة. [١٦٢]

(١٦٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٧٢.

(١٦١) المصدر السابق، ج٤، ص٢٩، ٢٨١.

(١٦٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٣٥؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٣٣٣؛ منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ١٩٣٠م، ص١١٣.

كذلك لجأ إليها السلطان الغوري في(ربيع أول٩٢٠هـ/مايو١٥١٤م) بعد أن اشتد غضبه من تصرفات مماليكه في الميدان، فقد رغب في قضاء وقتًا ماتعًا فيها خاصة بعد أن اشتدت حرارة الجو فأمر بإطلاق الماء في البحيرة الصغيرة بالميدان، وإقامة السماط، فأكل هو وخاصته، مما أغضب بقية مماليكه الذين عبروا عن استيائهم تجاه السلطان فخطفوا السماط، وكسروا الصحون الصيني، فغضب السلطان تجاه هذه الأفعال، فلم يجد سوى الدهيشة ليتفس بها الصعداء من تذمر هؤلاء.(١٦٣) واستمر غضبه عليهم حتى نراه في العيد الأضحى (٩٢٠ هـ/١٥١٤م) يصلى ويوكل بعض أمرائه للذبح عنه، ثم ينصرف إلى الدهيشة محتجبًا عن الناس.(١٦٤)

وقد يستغل بعض الأمراء جلوس السلاطين في الدهيشة، منتهزين فرصة اختلائهم بأنفسهم، لمصالحتهم بعد أن اشتد الغضب عليهم، فهذا الأمير سيف الدين جانبك ينتهز فرصة خلوة السلطان المؤيد أحمد في قاعة الدهيشة في(رمضان٨٦٥هـ /سبتمبر١٤٥٢م)، فدخل إليه محاولًا

(١٦٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٧٣.
(١٦٤) المصدر السابق، ج٤، ص٤٣٠.

استجدائه والتقرب منه، لكن السلطان أعرض عنه وخرج من عنده على غير ما يرام.(١٦٥)

رغم استخدامها لخلود النفس وسمو الروح، لكن استخدمها بعض السلاطين للتنصل من المسؤولية والهروب من واقع الدولة المضطربة المهددة، فهذا السلطان الغوري، بعد وصوله خبر سيطرة العثمانين على بلاد الشام في (جمادي الآخرة٩٢١هـ/ يوليو١٥١٥م)، فإنه- في البداية- لم يحرك ساكناً واكتفى بالاحتجاب في الدهيشة. (١٦٦)ولاستمرار اضطراب الدولة وهجمات العثمانين المتكررة، وتأثر السلطان طومان باي لذلك، امتنع عن عدم حضور الخدمة في القلعة في(ذي القعدة ٩٢٢هـ/ديسمبر ١٥١٦م)، محتجبًا في الدهيشة. (١٦٧)

ولم يغفل القائمون على أمر السلطنة من استخدام الدهيشة كوسيلة إعلامية لتوثيق الحالة الصحية للسلطان أمام العامة، والتي تُظهرها لهم جيدة ظاهريًا، رغم شدة المرض التي يعاني منها السلطان، كما حدث مع بعض السلاطين ومن ذلك: نرى

(١٦٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٤٥.

(١٦٦) ابن إياس، المصدر السابق ، ج٤، ص٤٦٣.

(١٦٧) المصدر السابق ، ج٥، ص١٢٧.

السلطان جقمق يحرص على الحضور إلى الدهيشة، بعد أن أُغشي عليه عقب صلاة الجمعة في(٢٤ذي الحجة٨٥٧هـ/٢٥ديسمبر١٤٥٣م)، لدرجة أنه أشيع خبر وفاته بين الناس، ولتكذيب هذا الخبر أمر السلطان بحضور الخدمة إلى الدهيشة، وكبار الأمراء والخاصكية، ونظر السلطان في كثير من القصص المرفوعة إليه، وبعد الانتهاء نظر من الدهيشة فإذا بالناس وقوفاً لمعرفة مدي صحة الخبر، فقال "سبحان الحي الذي لا يموت".(١٦٨) واستخدمها إعلاميًا أيضًا السلطان إينال بعد شعوره بتحسن حالته الصحيه، ووجد نشاطًا في نفسه فخرج إلى الدهيشة في(١٣ربيع الأول٨٦٢ هـ/٢٨يناير١٤٥٨م) فعلم الناس بشفائه، ودقت البشائر بالقلعة لمدة ثلاثة أيام.(١٦٩) وإليها يُحمل السلطان قايتباي على سريره في(جمادى الأولى٨٩١هـ/مايو ١٤٨٦م)، فيجلس على الشباك المطل على الحوش، ويأمر بإقامة العرض العسكري بالخيول، ليطمئن الناس على سلامته.(١٧٠)وأصّر السلطان الغوري على الجلوس فيها في(ربيع أول٩١٩هـ/مايو١٥١٣م)، لإعلام

(١٦٨) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٥، ص٤٤٨.
(١٦٩) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٦، ص١١٦.
(١٧٠) ابن إياس، المصدر السابق ، ج٣، ص٢٢٩.

الناس بصحته الجيدة، رغم معاناته من عينه التي ارتخت عليها جفونه، فحجبت عنه الرؤية جزئيًا.[١٧١] ولشربه دواءًا أثر سلبًا على حالته المرضية أدى لعدم استطاعته بالاجتماع بخاصته آثر الجلوس بالدهيشة يوم(الثلاثاء٢٦جمادي الآخرة٩٢١هـ/٦أغسطس ١٥١٥م).[١٧٢]

د- الأعياد والاحتفالات

شكلت الأعياد والاحتفالات إرث ثقافي للشعوب خاصة أنها تتصل بعاداتهم وتقاليدهم، فحرص الحُكام على اختلاف العصور على المشاركة فيها، للتقرب من القاعدة العريضة للمجتمع "العامة"، بينما حرص الخاصة على استغلالها، والتقرب فيها من الحُكام، فشهدت قصورهم على هذه الزيارات المتكررة للتهنئة بالمناسبات المختلفة، ونالت الدهيشة حظًا من هذ الزيارات، ومن ذلك: نرى دخول القضاة على السلطان خشقدم بالدهيشة للتهنئة بحلول عيد الأضحى المبارك سنة(٨٦٩هـ /١٤٦٥م)،[١٧٣] ولشدة مرضه وامتناعه عن صلاة العيد استقبل الغوري في الدهيشة أمرائه، وقاضي قضاة

(١٧١) المصدر السابق، ج٤، ص٣٠٧.

(١٧٢) المصدر السابق، ج٤، ص٤٦٣.

(١٧٣) السخاوي، الذيل التام على دول الإسلام، ج٢، ص١٨٢.

الشافعية للتهنئة بالعيد في أول (شوال سنة٩٠٧هـ/إبريل ١٥٠٢م). (١٧٤)

وشهدت الدهيشة الاحتفال ببعض المناسبات الدينية الأخرى: كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف فاجتمع خاير بك في (ربيع أول٩٢٨هـ/فبراير١٥٢٢م) بقُراء القرآن الكريم والوعّاظ بالدهيشة، وقاضي قضاة المالكية لحضور الاحتفال. (١٧٥) واستقبل أيضًا فيها خاير بك القضاة الأربعة مهنئين بقدوم شهر(رمضان ٩٢٨هـ/أغسطس١٥٢٢م).(١٧٦) كما شهدت أيضًا على احتفالات أخرى متنوعة منها: احتفال الصالح إسماعيل بمولدته الجديدة من اتفاق العوادة، فكان احتفالًا لا يفوقه الوصف، ورغم ذلك فإن هذه القاعة لم تشهد سوي هذه الفرحة فدائما ما كانت جِلسته فيها عن أسباب تكدر العيش وضيق الصدر.(١٧٧)وفيها أيضا احتفل السلطان جقمق بعقد

(١٧٤) ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص٤١٧.
(١٧٥) ابن إياس، المصدر السابق، ج٥، ص٤٣٨.
(١٧٦) المصدر السابق ، ج٥، ص٤٥٠.
(١٧٧) المقريزي، السلوك، ج٤، ص٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٩٧.

قران ابنته من خوند بنت البارزي[١٧٨] على الأمير أُزْبَك مِن طُطُخ بعد صلاة الجمعة (١٨صفر٨٥٤هـ/أول إبريل١٤٥٠م)، بعد نزول جميع الأمراء. [١٧٩]

هـ-توزيع النفقات المالية

تعددت الأسباب والعوامل التي دفعت لانهيار الدولة المملوكية، منها سوء الأوضاع الاقتصادية، وخاصّةً عندما عجزت الدولة عن استيفاء نفقاتها، وهو ما أدى إلى اضطراب وتردي الأوضاع، وللمعالجة الجزئية، بحثت الدولة عن أموال – دون تنمية مواردها- لسد مثيري الاضطراب خاصة المماليك

(١٧٨) خوند مغل ابنة القاضي ناصر الدين محمد المعروف بابن البارزي، بديعة الجمال تزوجت ثلاث مرات آخرها السلطان جقمق الذي طلقها بعد أن أنجبت له ابنة تدعى خديجة، توفيت في(٥ ذي القعدة سنة ٨٧٦هـ/١٣أبريل١٤٧٢م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٨٢، حوادث الدهور، ج١، ص١٧٠؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج٢، ص٨٢، ٢٥٥؛ عبد الرحمن زكي، مدينة القاهرة، ص ٣٣٥؛ محمد الجهيني، أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية: حي باب البحر، دار نهضة الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م ، ص ١٦٣- ١٦٤، ص ١٨٩-١٩٠.

(١٧٩) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٥٠؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج٣، ص١٢؛ ابن إياس بدائع الزهور، ج٢، ص٢٧٧.

باختلاف أجناسهم وأنسابهم، فكانت الدهيشة حاضرة لتوزيع تلك النفقات، ومن ذلك: تشهد الدهيشة على جلوس السلطان يوسف بالمقعد أمام الدهيشة، وبجانبه الأمير الكبير جقمق العلائي "السلطان جقمق فيما بعد" وكثير من الأمراء، يوم (الأثنين١٥ذي الحجة٨٤١ هـ/يونيو١٤٣٨م)، لدفع النفقة إلى المماليك السلطانية لكل واحد منهم مائة دينار، فاستبشر الناس بفعله وأكثروا من الدعاء له. (١٨٠) وجلس فيها أيضًا السلطان المؤيد أحمد، وأعطى أمرًا للمنادي بأن ينادي أن النفقة في المماليك السلطانية لكل مملوك مائة دينار، ابتداءًا من يوم (الثلاثاء٢٠جمادى ٨٦٥هـ/٤مارس١٤٦١هـ)، فضج الناس له بالدعاء. (١٨١)

فما بين النفقة والأزمة المالية التي تعرضت لها السلطنة في عصر طومان باي، شهدت الدهيشة على إحدى المشاورات في (ذي الحجة٩٠٦هـ/يوليو١٥٠١م) بين السلطان وأمرائه لمحاولة تدبير الأموال لدفع نفقات طوائف المماليك المختلفة، فأشيع أنه استقر الرأي على إخراج أوقاف الجوامع والمدارس

(١٨٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٢٧.
(١٨١) المصدر السابق، ج١٦، ص٢٢١.

لسد العجز المالي، وعدم الإبقاء إلا على ما يُقَوّمُ بالشعائر فقط، فاضطربت الأوضاع تجاه هذا القرار.[١٨٢]

ورغم انكار البعض الحل السابق لكنه كان سبيلًا للحصول على الأموال لدفع نفقات المماليك، لمنع اثارة الفوضى، ولكن تلك الفوضى ضربت بيدها عرض حائط الدهيشة في عصر السلطان الغوري الذي لم يستطع تلبية مطالب الجلبان، لكل مملوك منهم مائة دينار، فاعتصموا بها في (شوال٩١٣هـ/فبراير١٥٠٨م) حتى يُلبى مطلبهم، رغم خروج جماعة من الأمراء لإقناعهم بفض ذلك الحشد لكنهم رفضوا، واستمر اعتصامهم حتى يأسوا، فسكنوا على غير رضا. [١٨٣] ولضيق ذات اليد وعدم وجود أي مصدر من مصادر الدخل، تَفَحَّصَ الغوري احتساب الأموال المقررة على المباشرين في الدهيشة في (ذي القعدة٩١٥هـ/مارس١٥١٠م)، فبلغت نحو ستمائة ألف دينار، فضيق السلطان عليهم حتى يتم

(١٨٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١٤.

(١٨٣) المصدر السابق، ج٤، ص١٢٧؛ صلاح عيسى، رجال مرج دابق قصة الفتح العثماني لمصر والشام، دار الكرمة، القاهرة، ٢٠٢١م، ص٩٥.

استحقاق هذه الأموال قاطبة، التي كانت عبارة عن مصادرات قديمة لم يوفوا بها إلى خزانة الدولة. (١٨٤)

وقد شهدت الدهيشة على بذل مزيد من الأموال والهدايا للسلطان لنيل مناصب عليا في الدولة، حيث رجحت كفة من يبذل ويقدم أكثر، فهذا ابن الموصلي جاء إلى الدهيشة بفاخر الهدايا للسلطان الكامل شعبان، لرغبته في عودته إلى نظر حلب بعد أن عزل عنها بابن قرناص، الذي بذل لأجل هذه الوظيفة نحو ألفي دينار، لكن هدايا ابن الموصلى للسلطان في الدهيشة وواسطة الأمير غُرْلُو(١٨٥) كانت كفيلة بعودته إلى منصبه في (شعبان٧٤٦ هـ/ ديسمبر١٣٤٥م). (١٨٦)

(١٨٤) ابن إياس، المصدر السابق، ج٤، ص١٦٩.

(١٨٥) الأمير شجاع الدين أغرلو أو غرلو السيفي، مملوك الحاج بهادر المعزي وعتيقة، ثم استخدمه بكتمر الساقي ثمَّ بشتاك الناصري، ثم ولي أشموم، ثم نيابة الشوبك، ثم ولاية القاهرة، ثم شد الدوَاوين. وهو أول من أحدث ديوان الْبَذْل في سلطنة الكامل شعبان، ثم ولي نيابة طرابلس، ثم عاد إلى القاهرة، وقتل في رجب سنة(٧٤٨هـ/١٣٤٨م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٤٦٠-٤٦٢؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٣٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٦٤.

(١٨٦) المقريزي، السلوك، ج٤، ص١٧؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص٩٣.

و-استقبال الضيوف

استقبلت قلعة الجبل، بحكم وظيفتها السياسية، رسل الدول والممالك وكبار رجال السلطة المملوكية السابقين، وارتبط بهذا الاستقبال طقوس الترحيب المختلفة، وقد شهدت الدهيشة على بعض هذه الزيارات، فمنها زيارة خليل ابن السلطان الملك الناصر فرج في يوم (الثلاثاء ١٠شوال ٨٥٦هـ/٢٣أكتوبر١٤٥٢م) للسلطان جقمق، فبينما السلطان يَهِم بالخروج إذ قابله خليل عند إيوان الدهيشة، وعزم خليل على تقبيل الأرض احترامًا للسلطان الذي منعه من ذلك، ثم تعانقا وقبّل منهما الآخر، ثم تحدثا طويلًا، ثم خلع عليه السلطان بكاملية مخمل بفرو سمور، وفرس بسرج ذهب، فقبّل يد السلطان وقبل السلطان يده، فقبل قدمه، وقبل أيضًا السلطان قدمه، وقال له أنا مملوكك ومملوك والدك وجدك، ثم سمح له السلطان بزيارة القرافة وتربة جده الظاهر برقوق، ثم استأذنه للذهاب إلى عثمان بن جقمق لكن السلطان رفض وأسّر على نزول ابنه وتسليمه على خليل.(١٨٧)وتكررت زيارته أيضًا إلى

(١٨٧) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٧٥.

الدهيشة، فاستقبله السلطان جقمق في (يوم الأحد٢٤محرم٨٥٧هـ/٣ فبراير١٤٥٣م) بالترحاب.(١٨٨)

كما شهدت قاعة الدهيشة استقبال السلطان قانصوه الغوري قُرْقُد بيك بن عثمان(١٨٩)في (صفر٩١٥هـ/يونيو١٥٠٩م)، فمنذ أن وطأة أقدامه أرض مصر وحفلات الاستقبال تحل أينما وجد حتى وصل إلى القلعة راكبًا، ثم نزل على مصطبة باب الدهيشة، ففرشوا له مقعدًا من الحرير فاستراح عليه وقتًا يسيرًا، ثم التقى بالسلطان بالحوش.(١٩٠)

نتائج الدراسة

- أفرزت جمال العمارة الإسلامية وتنوع زُخرفها، إلى التعبير اللفظي الدال على رونقها، فبدا الاصطلاح تعبيرًا يوضح مدى تطور جمال الفن الإسلامي وإحداث تأثيرات متبادلة تجلى ظهورها – في تلك الدراسة– بين مصر والشام.

---

(١٨٨)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٥.

(١٨٩)يُذكر أن سبب قدومه إلى مصر، لرغبته أن يكون السلطان طرفًا للصلح بينه وبين أبيه أبي يزيد عثمان. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١٥٤.

(١٩٠) المصدر السابق، ج٤، ص١٥٤.

- وضحت الدراسة اهتمام السلاطين المماليك بتشييد العمائر وزيادة حجم الإنفاق المالي، مما يعكس وجود رخاء اقتصاديًا في كثير من فترات حكمهم.

- أفرزت الدراسة عن الرمزية السياسية للعمارة الإسلامية التي تجسد قوة الدولة وتوجهاتها السياسية نري ذلك في ولاية العرش التي شهدت عليها الدهيشة بطرائقها المختلفة بين الوراثة، والشوري، والانقلاب المستمر الذي اعتبر سمة من سمات سياسية المماليك.

- أشارت الدراسة إلى استخدام كثير من السلاطين المماليك الدهيشة، لردع وتأديب بعض الأمراء الذين ارتكبوا مزيدًا من الجُرم في حق الدولة والرعية، كذلك ارتكب السلاطين أنفسهم جرائم مرعبة فلا رقيب عليهم.

- لخصوصية الدهيشة وجنوح كثير من السلاطين إلى الرغبة المستمرة بالجلوس فيها، رغب بعضهم أن يكون خصومهم السياسيين تحت أنظارهم، فخصصوا لذلك سجناً فيها، فجمعت بين الجنوح إلى الدعة، والاسترخاء، والعزلة.

- استخدمت الدهيشة كشاهد عيان على الممارسات الدبلوماسية السياسية، التي جنح بعض السلاطين المماليك إليها، لاستئلاف قلوب كثير من الأمراء المنشقين، فجمعت بين جنباتها عبارات الود والاعتذار المصاحب بالهدايا والنفقات المالية للمصالحة والتحالف، للرغبة في الهدوء واستقرار الدولة.

- لمزيد من الاضطرابات التي وصلت لمركز الحكم والإدارة "القلعة"، لجأ بعض السلاطين المماليك، بل والأمراء إلى الدهيشة كحصن حماية للحفاظ على حياتهم، والجلوس للتشاور في درء هذه الاضطرابات التي هددت كيان الدولة سواء داخليًا أو خارجيًا.

- لزيادة الاهتمام بها وتأمينها، عهد سلاطين المماليك ببوابين لحراسة الدهيشة، وقد وصل هؤلاء البوابين لمنزلة كبرى لدى بعض السلاطين، دل ذلك على استخدامهم في وظائف أعلى من مرتبتهم، كذلك لجأ البعض إليهم كوسطاء لتلبية رغباتهم لدى السلاطين.

- لجمال وروعة تصميم الدهيشة، حرص بعض السلاطين على الجلوس فيها، فكانت مجالسهم بمثابة ملتقى علمي لكثير من الموضوعات الدينية، والتاريخية، واللغوية، والأدبية.

- حازت مجالس اللهو والموسيقى بنصيب أكبر داخل أروقة الدهيشة، فكان الاستمتاع بالجواري وسماع الأغاني خير هواية لبعض السلاطين الذين أسرفوا في ذلك.

- رغم الجلوس المصاحب في الدهيشة من الخلود والسكينة، لكن استخدمت الدهيشة بمثابة وسيلة دعائية، لتوثيق الحالة الصحية الجيدة بعد معاناة بعض السلاطين من المرض، فتشاهده جموع العامة من تلك القاعة، فتطمئن قلوبهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية

- ابن إياس(محمد بن أحمد)، (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م.

- الباباني البغدادي(إسماعيل بن محمد أمين)، (ت١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف الجليلة، استانبول، ١٩٥١م.

- بدر الدين العيني(أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى)، (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م) من خلال مخطوط عقد الجمان من تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني، تح: إيمان شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م):
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،١٩٦٣م.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تح: فهيم محمد شلتوت، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ١٩٣٠م.
- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تح: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني)، (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)، سلم الوصول إلى طبقات

الفحول، ، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، ٢٠١٠م.

- ابن حبيب(الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر)،(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تح: محمد محمد أمين، سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م.

- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد)، (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

- إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٩م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢م.

- ابن الحمصي(أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري)، (ت٩٣٤هـ/١٥٢٧م)، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تح: عبد العزيز فياض حرفوش، دار النفائس، ط١، ٢٠٠٠م.

- ابن خلكان(أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م.

- ابن دقماق(إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي)، (ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م):

• الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للتوزيع والنشر، بيروت، د.ت.

• الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تح: محمد كمال عزالدين، ط١، ١٩٨٥م.

- ابن رزيك (الملك الصالح طلائع)، (ت٥٥٦هـ/١١٦١م)، ديوانه، تح: محمد هادي الأميني، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٤م.

- الذهبي(شمس الدين محمد بن عثمان)، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

- ابن زنبل(أحمد بن الحسن علي بن نور الدين المحلي الشافعي)، (ت بعد٩٦٠هـ/١٥٥٣م)، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، الهيئة العامة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

- السبكي(تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين)، (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود

محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٣م.

- السخاوي(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)، (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م):

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
- الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تح: حسن إسماعيل مروة، دار ابن العماد، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- التبر المسبوك في ذيل السلوك، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تح: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٥م.

- ابن أبي السرور البكري(شمس الدين محمد بن محمد)، (ت١٠٨٧هـ/١٦٧٦م)، الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة، تحقيق وتعليق: عبد الرازق عبد الرازق عيسى، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٩٩٧م.

- ابن سيده(أبو الحسن علي بن إسماعيل)، (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، المخصص، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- السيوطي(الحافظ جلال الدين عبد الرحمن)، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، نظم العقيان في أعيان الأعيان، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، ١٩٢٧م.
- ابن شاهين الظاهري(غرس الدين خليل)، (ت٨٧٣هـ/١٤٦٩م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٣م.
- ابن شاهين الملطي(عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين)، (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م):
• نيل الأمل في ذيل الدول تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
• نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من الأساطين، تح: محمد كمال عزالدين، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٩٨٧م.
- الشوكاني(محمد بن على بن محمد بن عبد الله)، (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنأووط،

تركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠٠٠م.

- الصيرفي(الخطيب الجوهري على بن داود)، (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م):

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسن حبشي، دار الكتب، ١٩٧١م.
- إنباء الهصر بأبناء العصر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠٠٢م.

- طباخ الحلبي،(محمد راغب)، (ت١٣٧٠هـ/١٩٥١م)، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تح: محمد كمال، دار القلم العربي، حلب، ط٢، ١٩٨٨م.

- ابن طولون الصالحي (شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه)، (ت٩٥٣هـ):

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، المطبعة والجريدة الرسمية، ١٩٦٤م.
- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة، تح: محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٩٨٠م.

- العماد الحنبلي(عبد الحي بن أحمد بن محمد)، (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.
- الغزي(نجم الدين محمد بن محمد)، (١٠٦١هـ/١٦٥١م)، الكواكب السائرة بأعيان العاشرة، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.
- ابن فارس(أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني)، (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن على)، (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ١٩٠٧م.
- ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله)، (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي ط١، ٢٠٠٢م
- ابن قاضي شهبة(أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر)، (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٧)، طبقات الشافعية، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

- القلقشندي(أبو العباس أحمد بن على)، (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.
- ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر)، (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، البداية والنهاية، دار الفكر، ١٩٨٦م.
- المقريزي(تقي الدين أحمد بن على)، (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م):
  - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
  - السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
  - المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على)، (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار المعارف، ١٩٩٤م.
- النويري(أحمد بن عبد الوهاب بن محمد)، (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

ثانيًا: المراجع العربية

- إبراهيم الدسوقي شتا، المعجم الفارسي الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م.
- أحمد السيد دراج، صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية، الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي، ١٩٨١م.
- أحمد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطلة زمن السلاطين المماليك: دراسة عن الرشوة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.
- أحمد محمد أحمد الشربيني، ألفاظ الحياة العسكرية في كتاب مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب، دراسة دلالية ومعجم، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦م.
- بول كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- حامد محمد حامد، خريدة القاهرة: شيءٌ من سيرة الأماكن والأشخاص، الرواق للنشر والتوزيع، ٢٠٢١م.
- حسان حلاق، وعباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول

العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩١م

- حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

- حياة ناصر الحجي، أحوال العامة في حكم المماليك(٨٧٦-٤٨٧هـ/٩٧٢١-٢٨٣١م): دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.

- خالد عزب، دار السلطنة في مصر العمارة والتحولات السياسية، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧م.

- زينات بيطار، فن العمارة والزخرفة في الإمارة التنوخية (إمارة الغرب وبيروت)، مؤسسة التراث الدرزي، ٢٠١٠م

- صلاح الدين محمد نوار، الطوائف المغولية في مصر: تأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية، (٦٥٨-٧٨٣هـ/١٢٦٠-١٣٨١م)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

- صلاح عيسى، رجال مرج دابق قصة الفتح العثماني لمصر والشام، دار الكرمة، القاهرة، ٢٠٢١م.
- عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- عاصم محمد رزق
- خانقاوات الصوفية في مصر، مكتبة مدبولي، ١٩٩٧م.
- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٠م.
- عبد الرحمن زكي:
- قلعة الجبل "صلاح الدين"، دار النيل للطباعة، ١٩٥٠م
- قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة، مكتبة نهضة ومطبعتها، ١٩٦٠م.
- عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري صفحات من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠١٠م.
- عثمان على عطا، مجالس الشوري في عصر سلاطين المماليك(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

- علي نجم عيسى، حماه في ظل الأيوبيين(٥٧٠-٧٤٢هـ/١١٧٤-١٣٤١م) دراسة سياسية حضارية، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٧م.
- غزوان مصطفى ياغى، منازل القاهرة ومقاعدها في العصرين المملوكي والعثماني: دراسة اثرية وحضارية، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤م.
- فيصل عبد الله أحمد الكندي، جان بردي الغزالي وموقفه من العثمانيين، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع١٧، ١٩٩٦م.
- محمد التونجي، بلاد الشام إبان العهد العثماني، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- محمد الجهيني، أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية: حي باب البحر، دار نهضة الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
- محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، ط١، الآفاق العربية،١٩٩٩م.

- محمد أمير، أيام المماليك حكايات المذابح والعروش من الصعلكة إلى كرسي الحكم، د.ت.
- محمد محمد أمين، أوقاف والحياه الاجتماعية في مصر،(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧) دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م.
- محمد محمد أمين، وليلى على إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النشر بالجامعة الأمريكية، ط١، ١٩٩٠م.
- محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، المطبعة النموذجية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢م.
- مديحة شرقاوي، برسباي وسياسته الداخلية والخارجية، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٧م.
- نبيل محمد عبد العزيز، وثيقة عهد السلطان المؤيد أبي الفتح أحمد بن الملك الأشرف أبي النصر أينال العلائي الظاهري مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م.
- وليد فكري، دم المماليك النهايات الدامية لسلاطين المماليك، الرواق للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.

ثالثًا: الدوريات العلمية

- خلف بن دبلان بن خضر الوذينانى، ولاية جان بردى الغزالى علي الشام "٩٢٣ - ٩٢٧ هـ/ ١٥١٧ - ١٥٢٠ م"، مجلة المؤرخ العربي، ع٦، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ١٩٨٨م.
- رحاب السيد أحمد محمد جناحه، زين الدين أبو الخير النحاس، ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، ع٣٧، مج٣، ٢٠١٧م.
- سامي أحمد عبدالحليم إمام، مسجد الأمير آق سنقر الناصري إبراهيم أغا مستحفظان(٧٤٧-٧٤٨هـ /١٣٤٦-١٣٤٧م)، مجلة كلية الآداب، ع٣، ٤، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ١٩٨٢م.
- عاطف سعد محمد، دراسة آثارية لربعة شريفة لأيتمش البجاسي، مجلة كلية الآثار،ع٤ ، كلية الآثار بقنا، جامعة جنوب الوادي ، ٢٠٠٩م.
- عبدالعزيز بن فايز بن حسن القبلي، سياسة السلطان الأشرف قايتباي في التعامل مع اللاجئين والمنفيين السياسيين والوفود السياسية في الفترة(٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م)، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم التربوية

والاجتماعية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع٢، ٢٠٢٠م.

- منية بروانة، تضارب رواية سقوط المماليك بين ابن إياس وابن زنبل الرمال، بحوث المؤتمرات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ٢٠١٦م.

- نجلاء مصطفى شيحة، وكيل بيت المال لسلطنة المماليك(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، مج٣، ٢٠١٤م.

رابعًا: المراجع الأجنبية

- *Bora,Fozia, Writing History in the Medieval Islamic World: The Value of Chronicles as Archives (Early and Medieval Islamic World) ,London , ٢٠١٩.*
- *Danismcend, Ismail Hami, Izahli Osmanli Tarihi Kronoli Jisi Turkiye Yeylnevi, Istanbul, ١٩٧١.*
- *ENDRESS, Gerhard, "Europe and Islam: the history of Islamic studies in the West", in Islam: An historical introduction, Edinburgh University Press and Carole Hillenbrand, ١٩٨٨.*
- *Jidejian, Nina, Tripoli Through the Ages, Dar el-Mashreq Publishers, ١٩٨٠.*
- *Steenbergen, Jo van, Caliphate and Kingship in a Fifteenth-Century Literary History*

of Muslim Leadership and Pilgrimage al-Dahab al-masbuk fi dikr man ḥagga min al-hulafa wa-l-muluk. Critical Edition, Annotated Translation, and Study, Brill, ٢٠١٦.